ملحق اسبوعي 16 صفحة رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير فخري كريم
العدد (3167) السنة الثانية عشرة الاثنين (8) ايلول 2014
www.almadasupplements.com

ذاكرة عراقية

سر شارع المتنبي

عندما زار العلامة توينبي مدينة النجف

صورة نادرة للملك فيصل الاول اثناء توليه حكم سوريا 1919

قصة نشوء وتطور اول دستور في تاريخ الدولة العراقية

العدد 3167/
السنة الثانية عشرة
الاثنين (8) ايلول 2014

العلامة توينبي في مدينة النجف

■ سالم الالوسي
باحث ومؤرخ

في عام ١٩٤٩ طلبت وزارة المعارف (التربية) اليوم من الاستاذ السيد طه باقر امين المتحف العراقي أن يتولى تعريب موجز كتاب دراسة في التاريخ للمؤرخ البريطاني ذي الشهرة العالمية العلامة (ارنولد توينبي) صاحب المواقف الشريفة المناصرة للقضايا العربية.

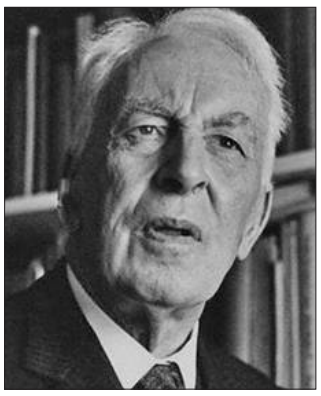

العلامة توينبي

فيلسوف عظيم

وكان الكتاب الاصل يتالف من عشرة اجزاء ضخمة اختصرها بجزئين الاستاذ دي. سي سمرفيل وهو غير سمرفيل الذي عمل مستشارا في وزارة المعارف العراقية في الثلاثينات وقد عكف طه باقر على تعريب الجزئين الموجزين لسمرفيل على مدى أربع سنوات معززا الترجمة بالمواشي والتعليقات المفيدة ودفعه للطبع استجابة لطلب وزارة المعارف وفي صيف عام ١٩٥٤ طلب الاستاذ باقر مني معاونته في الاشراف على طبع الكتاب واعداد الفهارس له فاضطلعت بالمهمة وتم الفراغ من طبعه في بداية عام ١٩٥٥ حيث تم طبع الجزء الاول في مطبعة التفيض الاهلية والجزء الثاني في مطبعة المعارف واقولها للحقيقة انني استفدت فائدة عظيمة من خلال مراجعتي تجارب الطبع واعداد الفهارس واعجبت اعجابا كبيرا بالمؤلف العلامة توينبي الذي يعد من اعاظم المؤرخين في العصر الحديث ولم يكن مؤرخا حسب بل فيلسوف عظيم قامت دراساته على أساس الناحيتين المادية والروحية التي تناول فيها بالتحليل الفلسفي العميق والمقارنة الدقيقة الشاملة بدايات الحضارات البشرية الكبرى وتطورها وانهيارها.

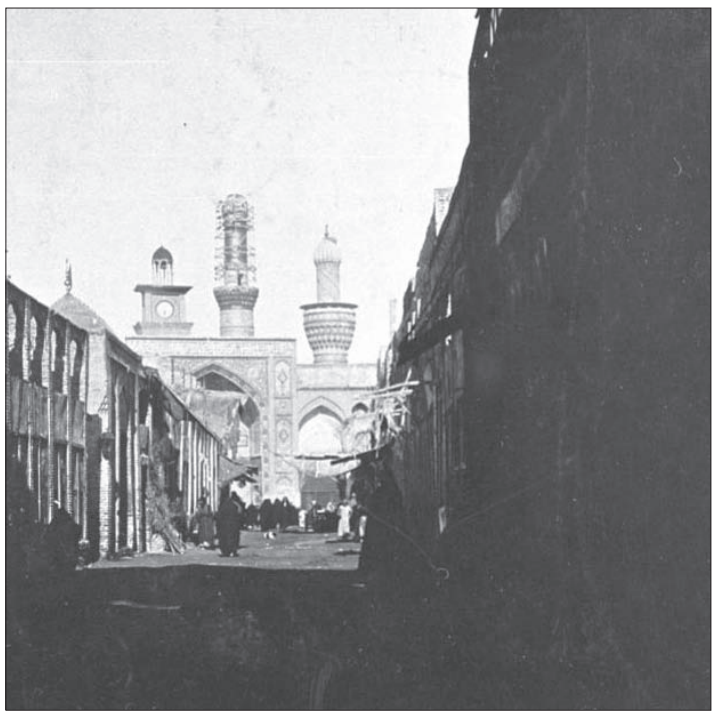

قوانين جديدة للحضارات

وقد انفرد العلامة توينبي دون سائر المؤرخين المعاصرين باستنتاج قوانين وقواعد جديدة لمسيرة تلك الحضارات ونموها وانحلالها نذكر منها قانون التحدي والاستجابة في نشوء الحضارات وقانون الاعتزال والظهور في الظاهرة الاجتماعية التي يسميها بالابداع مما يقوم به الافراد المبدعون او الاقليات المبدعة. ودستور الهزيمة ولم الشعث في الحالة التي يطلق عليها اسم ايقاع الانحلال الى غير ذلك من غرائب الاستنباطات وتتجلى قدرته الفذة في استخدام حوادث التاريخ البشري منذ أقدم عهوده وفي مختلف ادواره وموضوعاته باساطيره وادابه واديانه وغير ذلك من المعلومات التاريخية والعلمية والدراسات الفلسفية والمعارف الادبية.

دراسة في التأريخ

وعلى هذا الاساس يعد كتابه دراسة في التاريخ موسوعة عظيمة من انفس ما أنتجه الفكر الغربي المعاصر في فلسفة التاريخ وتاريخ الحضارات.

وليس غريبا أن يحتل هذا الكتاب هذه الاهمية البالغة التي دفعت المسؤولين بوزارة المعارف الى تعريبه ليطلع عليه المؤرخون والمثقفون واهل العلم والمعرفة فقد امضى العلامة توينبي اربعين عاما (١٩٢١-١٩٦١ لانجاز موسوعته الضخمة المؤلفة من عشرة اجزاء وبعد صدورها اضاف اليها جزئين اخرين خصصهما للرد على خصومه ونقاده من المؤرخين والكتاب الغربيين ممن جندتهم الدوائر الصهيونية لنقده والتشهير

ذاكرة
العدد 3167/
السنة الثانية عشرة
الاثنين (8) ايلول 2014

بساتين بغداد في العهد العثماني

■ عبد الكريم عبد الصاحب
باحث

تشكلُ الوثائق العثمانية مصدرا اصيلا من مصادر كتابة التاريخ في المنطقة وتعتبر سندات الطابو العثمانية واحدة من اهم هذه المصادر لما لها من اهمية تاريخية وبعد اصدار الدولة العثمانية لقانون الاراضي اصدرت في ٨ جمادي الثانية ١٢٧٥هـ ١٣ كانون الثاني ١٨٥٩م

قانون باسم قانون الطابو فجاءت مواده الـ(٣٣) لتضع امر تسوية الحقوق المتعلقة بالاراضي الاميرية وتحديدها على اسس اصح من القانون الذي سبقه (قانون الاراضي).

كما انشئ نظام قانوني لتسجيل الحجج والعقود المختصة بالاراض وقد عالج هذا القانون والنظام الصادر بعده في ٧ شعبان ١٢٧٦هـ ١٨٦٠م مسألة منح سندات (تفويض) للمتصرفين بالاراضي الاميرية والاراضي المملوكة وحقهم في توارثها كباقي الاشياء.

ادخل نظام الطابو الى العراق في عهد مدحت باشا (١٨٦٩-١٨٧٢م) وذلك في كانون الثاني من عام ١٨٧١م كجزء من اصلاحاته في العراق. حيث دعت الحاجة الى اعطاء سندات الطابو للاهالي، وثائق خاصة من اجل طمأنتهم على اموالهم غير المنقولة، وكانت هذه الوثائق تسمى سابقا بالحجج الشرعية فلما صدرت قوانين الاراضي سميت هذه الوثائق بسندات الطابو.

اختلف الكتاب في معنى لفظة طابو فذكر انها رومية اصلها (طابوس) وتعني الارض وقيل انها تركية اصلها (طابوق) وتعني الطاعة، وقد رجح الاستاذ خالد الشابندر المعنى الاول لكونه اقرب الى المعنى.

كما ورد وصف لمدينة بغداد في سالنامه بغداد يحد سنجق بغداد من الشمال ولاية الموصل ومن الشمال الغربي سنجق الزور ومن الشرق البلاد الايرانية ومن الجنوب ستجقا العمارة والمنتفك المرتبطان بولاية البصرة ومن الغرب سنجقا الديوانية وكربلاء وصحراء الشامية.

ويحد قضاء بغداد من الشمال والشمال الشرقي خراسان ومن الجنوب الشرقي العزيزية ومن الجنوب الجزيرة ومن الغرب والشمال الغربي قضاء الكاظمية وعلى ضفتي نهر دجلة توجد بساتين النخيل وبساتين تحوي اشجار مثمرة وهي تنتج محاصيل وفيرة ويسمى القسم الذي يبدأ من الجهة الجنوبية الشرقية (من الباب الشرقي) لمدينة بغداد بالكرادة الشرقية (الكرادة هي الاراضي التي تزرع بالكرد) والقسم الذي يمتد من الشمال الغربي من باب الاعظمية بالكرادة الغربية اما القسم الجنوبي الشرقي من الجانب الاخر جانب الكرخ والواقع على ضفاف النهر فيسمى بكرادة مريم.

ومدينة بغداد هي مركز القضاء واللواء والولاية وهي مركز البلاد العراقية كافة.

ان القسم الاكبر والمنتظم من المدينة يقع على الجهة الشرقية اي الضفة اليسرى لنهر دجلة ويسمى بالرصافة اما القسم الواقع على الجانب الغربي اي الضفة اليمنى فيسمى بالكرخ، وتشتهر بغداد باسم دار السلام والزوراء وهما من الاسماء القديمة لها.

ان الوضع الشاعري للنهر ومجراه اللطيف واشجار النخيل الممتدة على ضفتيه والبساتين التي تحوي اشجارا مثمرة. كلها تمنح المدينة جمالا وبهاء. واكثر مباني المدينة المنتظمة اقيمت على امتداد ضفاف النهر، ولهذا فان المناظر العامة للمدينة من النهر ملفتة للنظر ويوجد في مدينة بغداد ٣٢٥ بستانا ومزرعة ومن البساتين بقصبة الكاظمية هي:

١. بستان علي لطيف.
٢. بستان علي البلداوي.
٣. بستان صادق شبيب.
٤. بستان ياسين الدرويش.
٥. بستان عبد الحسين جلبي.
٦. بستان الحاج مجيد.
٧. بستان عبد الرزاق.
٨. بستان حاج علي محمد.

وكانت هذه البساتين تسقى بالبكرة حيث يوجد ٩٠ بكرة لسقي المزارع والبساتين في قصبة الكاظمية.

به والتحلل عليه بسبب انتقادات توينبي للحضارة الغربية عامة والحركة الصهيونية واليهودية كظاهرة شاذة متحجرة خاصة ولمواقفه النزيهة الجريئة هذه ولتعاطفه مع القضية العربية ومناصرته للقضية الفلسطينية وهي قضية العرب المركزية اقيمت لذكراه مهرجانات وندوات في عدد من الاقطار العربية منها الاحتفال التكريمي ببغداد في خريف عام ١٩٧٧.

٣ ملايين كلمة

تتألف المجلدات العشرة من كتابه من ٦٢٩٠ صفحة وعدد الكلمات يقدر بثلاثة ملايين ومئة وخمسين الف كلمة تضاف الى ذلك مجموعة من فهارس الكتاب تشغل ٣٢٢ صفحة واكثر من عشرين الف تعريف.

رب سائل يسأل وماذا عن نشأة هذا المؤرخ المنصف وسيرته؟ نقول ولد العلامة توينبي في عام ١٨٨٩ وتوفي في اواسط السبعينات شغل وظائف عدة ابرزها استاذ التاريخ الدولي بجامعة لندن ورئيس الدراسات في المعهد الملكي الانكليزي للشؤون الدولية وهو مؤسسة غير رسمية اسست عام ١٩٢٠ لتشجيع الدارسات العلمية والقضايا المتصلة بالشؤون الدولية ولشهرته العالمية واهمية دراساته ومؤلفاته كانت الجامعات والمجامع العلمية والمؤسسات التاريخية والمنتديات الثقافية تتسابق في توجيه الدعوات اليع لالقاء المحاضرات واجراء المناظرات وقد تسنى له زيارة اغلب لاقطار العربية كان خلالها موضع التقدير والاحترام وكان لايكتم اعجابه بالحضارة العربية الاسلامية وبعدها من الحضارات الاصيلة المؤثرة في الحضارات والمجتمعات البشرية وهو معجب أشد الاعجاب بالمؤرخ العربي ابن خلدون.

عندما زار النجف

هذه معرفتنا الأولى بالمؤرخ العلامة توينبي اما اتصالنا به شخصيا فقد حصل في اواخر شهر آذار مارس منذ عام ١٩٥٧ كنت اتولى خلالها مهمة رئيس هيئة التنقيب الاثاري في الكوفة التي كانت تقوم به دائرة الاثار العامة العراقية في موقع دار الامارة الواقع خلف مسجد الكوفة التاريخي، حينما حضر الى مقر الهيئة الاستاذ مهدي هاشم قائممقام النجف الاشرف وبصحبته الاستاذ نعمان امين رئيس بلدية الكوفة وأخيرا الهيئة بان الدكتور ناجي الاصيل مدير الاثار العام اتصل بالقائممقام هاتفيا واعلمه بان المؤرخ البريطاني ارنولد توينبي سيزور الكوفة والنجف غدا. ورجانا أن نتهيأ لاستقبال الضيف فتشكلت هيئة استقبال من الاساتذة السادة مهدي هاشم ، الحاج محمد سعيد شمسه رئيس بلدية النجف، نعمان أمين، عادل ناجي الدكتور في ما بعد عضو هيئة التنقيب في الكوفة وكاتب المقال.

وفي الصباح اليوم التالي استقبلنا العلامة توينبي عند جسر الكوفة وكان يرافقه كل من الدكتور عبد الجبار الجلبي العضو الاجرائي في مجلس الاعمار العراقي والاستاذ طه باقر معاون مدير الاثار العام وبعد استراحة قصيرة في مقر هيئة التنقيب قام بزيارة المعالم الاثارية والمشاهد التاريخية في دار الامارة وبيت الامام علي عليه السلام ومرقد ميثم التمار وموقع كري سعدة.

توجهنا بعدها الى النجف الاشرف حيث امضى قرابة ثلاث ساعات زار خلالها المدارس الدينية وعددا من المكتبات واعجب بنفائس المخطوطات فيها، كما التقى عددا من العلماء.

العدد 3167/
السنة الثانية عشرة
الاثنين (8) ايلول 2014

قبل الحرب العالمية الاولى

هل تعرف العراقيون على افكار سياسية حديثة؟

■ محمد جبار ابراهيم

يبدو واضحاً إن المؤثرات التي افرزتها ثورة الاتحاديين لم تستطع أن تُحرك الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية بما يخدم أي طروحات ذات نزعات ثورية ، مما أدى الى استمرار ضآلة الدور الاجتماعي لفئة الانتلجينسيا العراقية لدى عامة سكان المدن ، الأمر الذي سبق التطرق إليه في الفصل الثاني ، لكن هنالك عاملٌ آخر عزز ذلك ، ألا هو ضعف طبقتي الفلاحين والعمال أو ما يطلق عليهما أحياناً بـ"قوى الثورة" .

ظل الفلاح يعيش حياة شبه القنانة لدى صاحب الأرض ، والتي كان أحد أبرز مظاهرها العرف العشائري الذي نظم طريقة عيشهم ، أهمها أنّ من يُطرد منهم ليس بامكانه أن يعمل في مقاطعة أخرى ، لأنه لن يجد من يقبله من المالكين الاخرين في مقاطعته ، ولأن صاحب الأرض هو شيخ عشيرته في الأغلب الاعم ، وهذا كان يؤدي في الوقت نفسه الى فقدان الفلاح حق حماية العشيرة له لانها تعد متبرئة منه ، أي أنه "ساقط من الحقوق العشائرية" ، مما كان يعد تهديداً جدياً للفرد في وقت كانت فيه العشيرة تمثل له ، ولأقرانه الملاذ الآمن الوحيد الذي عرفه .

الوعي المختلط للعمال الموسميين (الزراعيين) الذين كانوا يؤلفون الجانب الاكبر من أفراد "الطبقة العاملة الوليدة" احتفظوا بايديولوجية العلاقات الاجتماعية الريفية ، وعوقهم النفسي ، مما ساعد على استغلال هذه الفئة بجرها للوقوف ضد مصالحها الاجتماعية والاقتصادية في كثير من الاحيان . ففي حوالي العام ١٨٧٦ ، مثلاً ، تمكن متصرف المنتفك من جمع عدد كبير من العمال من بين فلاحي المنطقة لبناء سد على الفرات بأجور زهيدة لمجرد كونه أحد شيوخ المنطقة . وكان المشرفون على مشروع سدة الهندية يتصرفون مع العمال كما يشاؤون ليس لمجرد توفر الايدي العاملة الرخيصة ، بل لأنهم كانوا يدفعون للشيوخ أيضاً ليرة تركية في الشهر عن كل خمسين رجلاً يزودون المشروع بهم.

وبحكم هذه الظروف والعوامل التي تفاعلت معها ، ساد الاتجاه التوفيقي في طروحات المثقفين العراقيين ، لاسيما السياسية منها ، من أجل التوفيق بين رغبتهم العارمة بالتغيير الشامل ومصالح الفئات المتنفذة العراقية ، والذي سهل تفاعل هذه العملية إن العديد من المثقفين توصلوا الى نتيجة تمخضت تحت وطأة عدم انسجامهم مع المؤسستين العشائرية والدينية ، وخيبة أملهم بنتائج مؤسسات المجتمع الثقافية الحديثة ، فلم يبق أمامهم الا المؤسسة السياسية التي أصبحت خياراً وارداً بفضل ثورة الاتحاديين التي كان من شأنها ان تمكنهم من اكتساب وزن سياسي كاف لموازنة النفوذ الاجتماعي للقوى المحافظة ، وقد يتيح لهم ذلك الفرصة لتفعيل دورهم المفترض بوصفهم نخبة قائدة في المجتمع العراقي ، وكان يحدوهم الى ذلك أيضاً أملهم في تحقيق طموحاتهم الشخصية المشروعة .

وفي الوقت نفسه أدرك العديد من أفراد الفئات المتنفذة تدريجياً إن في ظل حكومة بورجوازية متمثلة بالضباط الشباب الاتراك ذات ميول علمانية لم يعد من المفيد لهم تجاهل امكانيات فئة الانتلجينسيا العراقية ، والتقارب أو التعاون الوثيق الذي حصل بين طالب النقيب والمحامي سليمان فيضي خير إنموذج لما تقدم .

كان معروف الرصافي من أوائل المثقفين العراقيين الذين طالبوا بالحكم الجمهوري من خلال قصيدته "رقية الصريع" التي نظمها في العهد الحميدي ، عندما قال :

إن الحكومة وهي جمهورية
كشفت عماية كل مضلل
سارت الى نجح العباد بسيرة
أبدت لهم حمق الزمان الأول

وعند إعلان الدستور العثماني ١٩٠٨ احتدم النقاش حول نظم الحكم ونظرياته الفلسفية والاجتماعية ، منها الحكم الملكي الاستبدادي المطلق ، والحكم الملكي الديمقراطي الدستوري ، وكذلك الحكم الجمهوري . ففي النجف ، مثلا ، ولأن جميع الأنظمة الجمهورية والديمقراطية المعروفة في ذلك الوقت كانت علمانية ، لذلك برز التيار الرافض لفكرة الجمهورية على أساس كونها تمثل إحدى شعارات الغرب الذي يريد "إنهاء الإسلام" في البلاد من خلال اشاعة المظاهر الغربية في الحياة ، وتعطيل أحكام الشريعة الإسلامية في المجتمع . بينما احتج المؤيدون للحكم الملكي الديمقراطي الدستوري ان كل أنواع الحكم وأشكاله ونظرياته من الأمور الوضعية ، ويحق لكل مسلم أن يأخذ بما يوافقه منها تمشياً مع نظرية "حجية العقل" في كل الشؤون الدينية ، الأصول منها والفروع ، مع ثبوت عجز الملكية المستبدة عن المحافظة على بيضة الإسلام ، والصمود في وجه المستعمرين الغزاة. وقد اطلقت تلك الآراء المتعلقة بانظمة الحكم المفضلة مناقشات سياسية أخرى كالتي حدثت في المنطقة الكردية ، ففي السليمانية ، مثلا ، أوضح الرحالة الانكليزي ، والخبير في شؤون الاكراد ميجر سون ، الذي زار المنطقة متنكراً بشخصية وهمية ، نتيجة تلك المناقشات بالقول :

"وعلى غرار أغلب الاكراد اظهر القوم عطفاً على الملكيين بأكثر من العطف على الجمهوريين الذين كانوا يعتدونهم نفراً من الجماعات الناشطة في سبيل الشر، مجردين من أي موهبة تؤهلهم لحكم بني جلدتهم" .

وهكذا في حال حصر الخيار بين الملكية والجمهورية فان الاخيرة كان تأييدها ضعيفاً بين سكان الولايات العراقية ، لأنها كانت تعني عملياً الانفصال عن الدولة العثمانية ، لذا فان مطالبي اللامركزية حرصوا على تأكيد استمرار تأييدهم لكون العراق "أرضاً عثمانية" تحت راية الهلال ، وسلطة الخلافة .

إن فكرة اللامركزية التوفيقية التي جمعت بين بعض خصائص جوهر الجمهورية التي تلخصت في حق المشاركة في الحكم بصورة أوسع مما يضيق به النظام المركزي ، مع المحافظة على رابطة الخلافة التي تتيح إدامة شكل الحكم الاسلامي للولايات الثلاث ، كانت من أكثر الافكار السياسية انتشاراً بين العراقيين، حتى إن "سياسة اللامركزية أصبحت مرمى أبصار الجميع" حسب تعبير جريدة "صدى بابل" . وباستثناء البصرة أصبحت بغداد من أنشط مدن العراق الداعية الى اللامركزية من خلال "النادي الوطني العلمي" منذ العام ١٩١٣، على الرغم من إن النادي تأسس أوائل سنة ١٩١٢ من قبل الانتلجينسيا البغدادية ، غير إن شعار اللامركزية هو الذي أعطاه بريقه ، ومنحه التأييد المادي والمعنوي للعديد من الشخصيات العراقية المتنفذة مثل يوسف السويدي وعيسى الجميل وعبد الرحمن الكيلاني وطالب النقيب .

ليس المهم في الصيغة التمثيلية للامركزية التي ضمنها الدستور سلفاً ، ولكن في صلاحياتها الواسعة الممنوحة للمجالس الادارية للولايات التي حرصت الفئات المتنفذة على ادامة السيطرة عليها ، والتي يمكن تفسيرها بانها جاءت كرد فعل تجاه مشروع الاتحاديين السياسي لتكريس "السيادة الوطنية" لاستكمال مقومات الدولة الحديثة ، أو بشكل دقيق تجاه الجزء الذي يخصهم منه ، المتضمن العمل على تمفصل المواطنة في قواعد الدولة لتكون المعيار الوحيد المحدد لشكل علاقتها مع أفرادها من مختلف الفئات والطوائف ، وعلى أساس إن الحكم هو "احترام إرادة الشعب" ، وبطلان شرعية أي حالة تمايز خارج نطاق قانون الدولة وإنْ كانت قد اصبحت عملياً تحت سيطرة السلطة التنفيذية للضباط الاتراك.

ولو حاولنا أن نفهم أكثر طبيعة فلسفة مطلب اللامركزية الادارية من خلال طروحات أحد أبرز المشاركين في صياغتها ، وهو سليمان فيضي معتمد "جمعية البصرة الاصلاحية" ، لتوصلنا الى إن حماية مبدأ التمايز الاجتماعي والعمل المشترك لاجل ذلك ، لاحقا ، على تحويلها الى سلطة هرمية محلية ، الوالي العراقي رأسها والمجالس الإدارية قاعدتها ، أي أن التمايز الاجتماعي السياسي كان هو الاساس الحقيقي لوجودها . فبعد أن حدد سليمان فيضي ماهية حرية ممارسة الفرد لحقوقه حسب رأيه ، وهي الحرية الشخصية والحرية المدنية والحرية السياسية التي نشرها في أحد أعداد جريدته "الايقاظ" الصادر في آب سنة ١٩٠٩ ، حدد مفهومه للمساواة بقوله : "وهي أن يكون الغني والفقير ، والكبير والصغير ، والمسلم وغير المسلم في الحقوق الشخصية سواء لا فرق بينهما ، وفي سائر الاحوال بمقتضى التطبيق لأصول التربية والآداب والعرف العام ، ويلزم أن يعرف كل أحد مقامه" . وواضح في الجملة الاخيرة دور الحرية التكييفي الذي يعتمد التراتبية الاجتماعية ، لاسيما وأنه جعل أصول التربية والآداب والعرف العام المعايير المحددة لطبيعة وطريقة تفعيل مبدأ المساواة في المجتمع ، مسقطاً دور القانون من حساباته .

لكن هذا لم يمنع من وجود أكثر من نقطة طموحة في برنامجه ، أهمها دعوته "لأن يكون كل فرد حراً بتشكيل كل نوع من أنواع الشركات المتعلقة بالتجارة والصناعة والزراعة ، وليس لأحد حق المعارضة ، ويكون مفوضاً على فتح مكتبٍ باسم التدريس خصوصياً كان أو عمومياً بشرط مطابقته للقانون" ، أي أنه دعا الى تطبيق الحرية الاقتصادية وحرية التعليم ، والتي عكست رغبات البورجوازية العراقية من الكومبرادور والملاك وفئة الانتلجينسيا العراقية معا ، ولان طروحاته

الرصافي

حافظت على اعتدالها قدر تعلق الامر بمصالح المراتب الاجتماعية العليا ، أصبحت أهمها جزءا أساسياً من برنامج "جمعية البصرة الاصلاحية" ، الذي كان عبارة عن وثيقة مساومة ، وحل وسط لتحالف عناصره المتباينة .

إن قدرة الافكار السياسية الغربية على التعايش بين المجتمعات المتخلفة ، آنذ ، كان يعتمد على مدى قابليتها على التماهي مع الوقائع الاجتماعية السائدة فيها ، وبالذات تلك التي تثير الحساسية أكثر من غيرها . لذا لا يمكن أن نطمئن فقط بتعليل الدكتور عامر حسن فياض ، الذي عزا عدم انتشار الديمقراطية الليبرالية بوصفها إختياراً ثقافياً في تلك المجتمعات ، الى شيوع الامية ، وتشرنق الاغلبية فيها بالاطار المعرفي الموروث . وهنا نستعير الحوار التالي الذي تم بين أحد شيوخ شمر جاء لزيارة نقيب بغداد السيد عبد الرحمن الكيلاني رئيس وزراء العراق ، وهو أفضل مثال عن وجهة نظر أحد اصحاب السلطات المحلية : "سأله النقيب : هل أنت ديمقراطي ؟ أجاب الشمري بعد أن أحس بشيء من الاهانة : كلا والله ! أنا لست مقراطي . ماذا تعني بذلك ؟ قال النقيب منشرحاً: أنا شيخ الديمقراطية ، فما كان من الشيخ الذي أحس بأنه ارتكب خطأً بجوابه إلا أن قال : استغفر الله ، إذا كنت شيخ المقراطية فانا واحد منهم ، وانا رهن اشارتك. لكن ما هي المقراطية ؟ . قال النقيب : الديمقراطية تعني المساواة ، لا كبير ولا صغير ، بل الكل متساوون في السلطة . هنا افاق الشمري من ذهوله وقال ، بعد أن وجد سلطته العشائرية قد جردت عنه بهذا التعريف ، يشهد الله عليّ اذا كان الأمر كذلك فلست مقراطي" .

كانت الاشتراكية من أكثر الافكار الراديكالية التي لم يكن بالامكان أن تتحقق في المجتمع العراقي ، لأنها كانت تعني ببساطة الثورة على البنية الفوقية (النظام السياسي) والبنية التحتية (المجتمع) معاً ، في الوقت الذي كانت فيه أدواتها وقواها غائبة تقريباً ، مع ذلك فعلى أثر قيام ثورة الاتحاديين طرح عدد من المنتمين إلى الانتلجينسيا ، في احد اجتماعات "حزب الاتحاد والترقي" ببغداد فكرة خطيرة مست جوهر الاشتراكية ، كان أكثر المتحمسين لها سامي الاورفلي أحد الضباط العراقيين الذي كان من رأيه ومؤيديه : القيام بمصادرة أموال وأملاك الاغنياء لأنهم جمعوها بظلم الاهالي ، وتزلفهم لأصحاب السلطة ، لذا فان كل ما في أيديهم من أموال وأملاك هو ملك الشعب . لكن هذا الرأي واجه معارضة كبيرة حتى من داخل الحزب ، ولم ينجح إلا في اثارة فزع العوائل البغدادية المتنفذة .

النزعة الراديكالية التي اظهرتها المجموعة هذه من المثقفين حتى لو كان عددهم محدوداً ، تبين إنها قد توفرت لها الفرصة منذ وقت غير قصير للتعرف على الافكار الاشتراكية التي كانت وراءها بالفعل عدة روافد ، من بينها الصحف والمجلات العربية ، وابرزها في هذا المجال مجلة "المقتطف" البيروتية الصادرة منذ العام ١٨٧٦ ، لكن أشد هذه الروافد تأثيراً في إعداد وعي فكري ذي ميول ثورية ، ومتقبل للافكار الاشتراكية هو الرافد التركي ، رغم كل صرامة النظام الحميدي وهوس جهاز جاسوسيته للكشف عن مكامن مثل هكذا أفكار في أرجاء السلطنة العثمانية ، ففي اسطنبول نفسها – عرين السلطان أكد محمد رؤوف طه الشيخلي إنه ، مع عدد من زملائه حصلوا أثناء دراستهم في المدرسة الحربية على كتب وأشعار لكتاب اتراك تحدثت عن الحرية والوطنية والعدالة ، عرفتهم بالافكار الغربية التي كان فضولهم لها شديداً ، لدرجة أنهم كانوا يصرون على الحصول عليها ، وكانوا يخبئونها حتى لا يكتشفها مسؤولو التفتيش . كما قال إن عدداً من الطلاب حصلوا على جريدة أسمها "غيرت" كانت تطبع في بلغاريا ، وكانوا يتناولونها فيما بينهم ، ويبدو إنها كانت إحدى جرائد "تركيا الفتاة" المناوئة لحكم عبد الحميد . وذكر أيضاً أنه قرأ كتاب "وطن" وهي رواية تمثيلية من تأليف الشاعر التركي المعروف نامق كمال ، حصل عليها من اصدقائه ، وأصبح هو بنفسه يبحث عن هذا النوع من الكتابات ليجمعها ، فقد إشترى بالفعل عدداً من الكتب من تأليف الأديب التركي عبد الحق حامد باشا وغيره من الكتاب حرص على "الاقفال عليها في صندوق خاص بها" كان يخبئه عند من يثق بهم . إن دور هذه الافكار التي اطلع عليها الضباط العراقيون خلال دراستهم في العاصمة العثمانية لم يقتصر فقط على الإجابة على تساؤلاتهم ، بل يبدو إنها أدت الى نشوء تيار متشرب بالافكار الغربية حملت بين طياتها بذور الثورة التي من المحتمل جداً إنها وجدت أرضاً خصبة بينهم ، فقد أتى معظمهم من الفئات الدنيا للطبقة المتوسطة ، وكانوا يؤلفون ، في الوقت نفسه ، ما نسبته ٩٣٪ من مجموع عدد الطلبة العراقيين الذين درسوا في المدارس العالية باسطنبول ، وقد وصل عددهم الى ١٤٠٠ طالب خلال المدة ١٨٧٢-١٩١٢ ، مما كان يعني إنهم كانوا يمتلكون تقريباً التجانس الثقافي والاجتماعي ، ونسبيا الزخم العددي ذي الأهمية

العدد 3167/
السنة الثانية عشرة
الاثنين (8) ايلول 2014

المعنوية الدافعة لهم ، وإن كل ذلك قد يفسر لماذا أولى الدعوات لتطبيق الملكية الاشتراكية في العراق الحديث كان صاحبها ينتمي الى فئة الضباط العراقيين .

وقدمت فئة الإنتلجينسيا العراقية المدنية هي الاخرى عدداً آخر ممن تأثر بالفكر الاشتراكي ، ففي العام ١٩٠٨ صدر في اسطنبول كتاب باللغة التركية مترجم عن الفرنسية يحمل عنوان "الاشتراكية" ، طرح فيه الناشر إبراهيم حلمي العمر هدفه من ترجمته الذي حدده بالحاجة الى انقلاب اجتماعي وديمقراطي للشعب ، مدافعاً عن الفلاحين والعمال ، ومهاجماً الرجعية من الملاكين والاغنياء المستغلين لهم ، لكنه أكد على إن الاشتراكية لكي تنتشر وتتغلغل فانها تحتاج الى الكهرباء والمؤسسات الصناعية داخل البلد لتكون الاخيرة نقطة ارتكازها . أي أنه لم يكن يفضل الطريق الثوري لتحقيق النظام الاشتراكي في المجتمع بل الحل المتدرج وعبر مراحل اقتصادية تبدأ باقامة بنية صناعية لتوسيع أعداد "الطبقة العاملة الوليدة" بشكل يسمح باقامة مثل هكذا نظام اقتصادي متطور . وعلى أي حال فانه أصبح فيما بعد من أعضاء "النادي الوطني العلمي" الذي عرف بتركيزه، لاسيما أول الأمر ، في برنامجه الاصلاحي المرحلي الذي أكد على الدعوة إلى تأهيل أفراد المجتمع العراقي من خلال الاهتمام بالتعليم ونشر العلم والثقافة بينهم .

وفي الحقيقة إن أكثر المثقفين العراقيين راديكالية معروف الرصافي لم يكن يرى فقط عدم جدوى الدعوة الى تطبيق المبادئ الاشتراكية عن طريق الثورة، لكنه تبنى الاسلوب التوفيقي فيما يخص هذا الموضوع بدعوته الاغنياء الى تفعيل مبدأ التكافل الاجتماعي تجاه معاناة الفقراء ، وليس صحيحا الرأي القائل إن مثل هكذا دعوة تعكس فشل أصحابها في ادراك سبل تغيير وقائع حياة المجتمع الاقتصادية المتخلفة ، فالرصافي كان يعرف جيداً إن وطأة الحكم الحميدي وملحقاته لم يبق أمام الفئة المثقفة إلا الخيار الثوري لعلاج المعاناة التي تسبب بها هذا النظام بين أغلبية أفراد المجتمع العراقي ، لذلك نراه بالفعل يدعو الى الثورة على السلطان عبد الحميد عندما أنشد قائلاً :

يا أمة رقدت فطال رقادها هبي وفي أمر الملوك تأملي
أيكون ظل الله تارك حكمه الـ
منصوص في أي كتاب المنزل
بل وكرر دعوته هذه في قصيدة أخرى حينما أنشد :
عجبت لقوم يخضعون لدولة
يسوسهم بالموبقات عميدها
لكنه رغم انفعالاته كان واضحاً لديه عدم واقعية مثل تلك الدعوة ، لعلمه إن عامة الناس واقعون تحت تأثير زعمائهم المحليين ، فقد ورد في القصيدة نفسها قوله :
إذا جاهل منكم مشى نحو سبة
مشى جمعكم من غير قصد يريدها
وفي عهد الاتحاديين كان يصر على إن تطبيق المبادئ الاشتراكية هو الهدف الحقيقي من الثورة ، لذلك انتقد قيام الحكومة في العام ١٩١٣ بتخصيص رواتب لاصهار السلطنة في قصيدته التي سماها "آل السلطنة" الذين وصفهم بأنهم :
يأكلون اللباب من كد قوم
اعوزتهم سخينة من نخالّة
فكأن الأنام يشقون كداً
كي تنال النعيم تلك السلالة
لذا استهجن ذلك بقوله :
ليس هذا في مذهب الاشـ
تراكية إلا من الأمور المحالة

عن رسالة (البنية الاجتماعية الاقتصادية في الفكر السياسي الحديث)

سر شارع المتنبي

■ د. عماد عبد السلام رؤوف

ليس من قارىء او باحث او كاتب في بغداد ، بل في العراق كله ، لا تربطه بشارع المتنبي صلة ما ، بل ليس من المتصور ان يكون المثقف مثقفا كليا من دون ان يكون له وجود في هذا الشارع ، باحثا عن كتاب نادر ، او مقتنيا لكتاب حديث الصدور ، او متتبعا لاثار كاتب ،

او اديب او شاعر ، وقع عجيب ذلك الذي يتركه اسم شارع المتنبي في وجدان كل عراقي شغف بالكتاب ، وهو وقع يشبه ما يتركه ذكر الحبيبة في قلب عاشق ملهوف ، من زيادة في النبض ، وشوق الى تجدد اللقاء !.

ولاتنبعث اهمية الشارع من انه المعرض الدائم للكتاب ، فمثل هذه المهمة تعرضها ارصفة شهيرة في مدة عربية عدة ، ربما كان سور الازبكية في القاهرة ادناها، ولكنها تقوم من حيث الاساس على ما يوفره من مناخ ثقافي عام ، اكثر سعة وشمولا ، ففي مكتباته تكثر لقاءات المثقفين ، وعلى ارصفته يلتقي هذا الكاتب بذاك ، فتدور حوارات هادئة ، او حامية ، وربما اختلطت اصواتهم بنداءات باعة الكتب المستعملة ، او غطى عليها جدل ممض بين احد البائعين ومشتر على سعر كتاب او ديوان ، فيؤلف الجميع هديرا جميلا ، في نشازه تناغم ، وفي صياحه الفة محببة .

والى وقت قريب كان شارع المتنبي مصنع الكتاب العراقي الوحيد في بغداد تقريبا ، ففي ازقته الضيقةتوجد مطابع بغداد الشهيرة ، التي طالما اتحفت القراء في العراق وفي الوطن العربي ، بالاف من المطبوعات الانيقة على رغم فقر الامكانات الفنية ، وفي تلك الازقة كان ثمة مجلدون قادرون على الباس الكتاب القديم حلة جديدة محكمة ، هذا فضلا عن عدد غير قليل من الخطاطين المجودين ، صانعي الكلائش التي يحتاجها الكتاب عادة والمصممين والصحفيين وباعة الورق على انواعه ، انه خلية نحل اذن قوامها الكتاب ، والكتاب وحده . وكما ان للعبادة شعائر خاصة وايام مباركة مخصوصة واوقات محددة فلشارع المتنبي من غير تشبيه ، ما يشبه هذا ! فانت تراه في ايام الجمع وقد تقاطر اليه الباعة من كل مكان في الصباح الباكر يعرضون على ارصفته وعلى اديم اسفلته وعلى سطوح سياراته بل كل شي ذي سطح الافا من الكتب بل جميع ما يخطر على البال من مجالات العلم والمعرفة والادب ، فيضج الشارع بالمقابل بكثرة المشترين والباحثين والمتفرجين ويكثر الزحام حتى لايجد مكانا لوضع قدم فاذا ماانتصف النهار وأذن المؤذن لصلاة الجمعة من مئذنة جامع الوزير القريب انفض الجميع وكانهم على موعد فلا تجد الشارع الا وقد انقلب ارضا فضاءا لاتكاد تسمع فيه صوت انيس . وفي حوالي الشارع محطات للمتعبين الذين يقضون الساعات في البحث عن ضالتهم من الكتب ، او المثقفين الذين لا يجدون في ضجيج السوق ما يساعدهم على الحوار ، وليست تلك المحطات الا مقاهي قديمة هنا او هناك ، اصبحت لقدمها تراثا محببا لروادها ، ففي مدخل الشارع الغربي مقهى الشابندر العريق ، بابوابه الخشبية و (كروياته) العتيقة ، وناراكيله العامرة بالجمر، وابتسامة صاحبه المعهودة ، وفي كل مكان قريب من شرقي السوق على شارع الرشيد مقاه ذات صيت دائع لعل اقربها الى وظيفة السوق نفسه وطقوسه ، مقهى قديم هو مقهى حسن العجمي ، يجتمع فيه اهل الادب على اختلاف مدارسهم واجيالهم فلا تكاد تسمع فيه الا حديثا في الادب وابياتا من الشعر ونحوهما ، يختلطان مع صوت ملاعق الشاي القديمة وهي تقرع جدران (الاستكانات) المترعة برقة اوبعنف بحسب نوع الحوار ودرجة حرارته .

وان كنت من رواد الشارع القدامى ، مثلي ، فستطوف بك ذكريات يمسك بعضها برقاب بعض ، فتبدو كفيلم تحركه آلة عرض بسرعة ، فهناك كانت مكتبة قديمة حفلت بكل ما هو نادر ومهم من الكتاب العربي ، تحتل دارا قديمة شرقية الطراز ، انها مكتبة المثنى بطابقها الارضي الذي كان ذات يوم ملتقى كبار المؤرخين ، وطابقها العلوي حيث كانت تزدحم غرفه بالاف من الكتب ، وبين الطابقين تنتقل الكتب بسرعة لتصل الى يد قارىء يبحث عن ضالته ، او عالم يريد ان يزيد علما . وفي هذه القاعة الكبيرة كانت ثمة المكتبة العصرية احدى اقدم المكتبات في السوق كله تكتظ ارففها ومناضدها بالكتب والناس حول صاحبها يتحلقون يجمع بينهم حديث شيق اطاره الادب وفحواه ادب فلا يقطعه الا سؤال سائل عن كتاب يبتغيه ، فاذا مااستجيب لطلبه عاد القوم الى ماكانوا فيه .

وهناك في طرف السوق الاخر ، مكتبة النهضة تحتل احدى دور الشارع القديمة وفي الدار حجرات وروا قات عدة امتلأت بالكتب المستوردة من كل حدب وصوب ، وصاحب المكتبة يسعى بينها ملبيا طلبات رواده من الطلبة والباحثين بكل همة ، فاذا ما اجتزت الشارع الى الجهة المقابلة طالعتك في صدر زقاق هناك مكتبة البيان وقد تصدرها اديب شيخ وان ارتدى زي الافندية ، وقد احاط به فضلاء اكثرهم قادمون من خارج بغداد ينشدون الشعر الفصيح والريفي على حد سواء ، ويحفظون الزهيريات والابوذيات حفظهم لاسماء اولادهم فلا تكاد تسمع منهم الا ما هو ممتع ومفيد .

وعلى بعد خطوات ، تطالعك لافتة كبيرة كتب عليها عنوان (المكتبة الاهلية) وهي مكتظة كجارتها بالكتب واكثرها قديم نادر ، ولكن صاحبها يتخذ الضيق موقعا لوقوفه او جلوسه فلا يمكن لاحد من دخولها وبذا يحفظ تلك النوادر من يد عابث، متعهدا بطلب كل من يريد كتابا بعينه !

وبين هذه المكتبة وتلك مطابع ذات شأن في عالم الكتاب العراقي ، ولعل من اقدمها مطبعة المعارف التي يكفي لو اراد احد ان يحصي عنوانات مطبوعاتها ان يملا في ذلك كتابا قائما برأسه ، فلم تتوقف عجلات هذه المطبعة ، على الرغم من قدمها ، عن الدوران نحو ستة عقود من السنين ، وكانت تقذف كلما هدرت كتبا قد اتقنت طباعتها الى حد بعيد . وفي باحة قديمة تجاوز دار المثنى ، انتصبت مطابع هايدلبرك الشهيرة لتطبع كتبا انيقة اكثرها في القانون والتراث ، فتحسدها لاناقتها واتقانها وقلة اخطائها ، افضل حواسيب هذا الزمان ، وعلى كتف باب الدار الخارجية يقرأ المارون اسم (مطبعة العاني) على لوحة نحاسية هناك .

على ان المتنبي لم يكن شغوفا بالكتب وحده ، فحتى العقود الاخيرة كانت ثمة مؤسسات تنافس هذا الحبيب بما تحتله من ارض هذا الشارع العتيد ، فعلى شمال مدخله من جهة السراي ، كانت ثمة بناية كبيرة ذات فناء فسيح يقف على مدخلها جندي شاكي السلاح ، ومظهر البناية يدل على انها ترقى الى اواخر العهد العثماني ، وهو استدلال صحيح ، فهذه هي (الاكمكخانة) التي منحت للشارع اسمه قبل ان يتخذ المتنبي اسما له وعرفت فيما بعد بدائرة المخابز العسكرية بيد ان البناية نقضت منذ الستينيات وشيدت مكانها قيصرية على طراز بغدادي محبب ضمت عددا كبيرا من المكتبات صغيرة الحجم ، الكثيرة النشاط بما تعرضه من افانين الكتاب .

فان قدمت الى الشارع مبكرا ذات يوم ، فليس اجمل من ان تتذوق طبقا من (الكاهي) الشهير تصنعه يد اسطة ماهر انه كاهي ابو علي قرب مكتبة النهضة ، حيث تذكي رائحة الدهن الحر المكان ، ويشمها المارون في الشارع وليس في هذا اعلان عن المطعم المذكور فقد تحول منذ اكثر من عقد الى مكتبة تبيع انواع الكتب والقرطاسية .

وللشارع من بعد هذا كله سر لايعرفه الا من ادمن زيارته وتردد الى محلاته ومكتباته فان اردت معرفة سره فلا عليك الا ان تختار احد ايام نحسك التي يكثر فيها همك وتشغلك فيها الوساوس والاحزان فتمضي الى هذا الشارع تدلف اليه من اية زواية تشاء وتتفرج على واجهات محاله وتتطلع الى ماهو معروض على ارصفته تتصفح هذا الكتاب وتصافح ذاك الاديب ، وتحادث ذلك الصديق الاليف فلا تكاد تخرج منه الا وقد نسيت همومك حتى لو طالت الجبال ارتفاعا ، والقيت من على ظهرك احزانك وان امتلات نفسك التياعا ، واذا بالبسمة تعلو شفتيك والامل يستعيد موقعه من جديد .

أرايت اذن ما تحت اسفلت شارع المتنبي من سر ، وماوراء واجهاته من سحر ؟ وهل لشارع اخر ، مهما كان ، هذا الوجيف المحبب في القلب ، والالفة التي تحرك جوامد الجسد؟!

المقال جزء من كتاب بغداد سيصدر قريبا

العدد 3167/
السنة الثانية عشرة
الاثنين (8) ايلول 2014

قصة نشوء وتطور اول دستور في تاريخ الدولة العراقية

■ د . صلاح عبد الهادي الجبوري

المجلس التأسيسي العراقي

نشأته

بعد انتهاء ثورة ١٩٢٠م لم يكن أمام المحتلين البريطانيين إلا أن يرفضوا مطالب العراقيين، وتحقيقاً لإلتزام بريطانيا نحو عصبة الأمم فقد أبرمت مع العراق معاهدة تضمنت شروط الإنتداب لتتقدم بها إلى العصبة لإقرارها وهو ما صرح به مندوبها أمام مجلس العصبة بجلسته المنعقدة بتاريخ ١٧/ تشرين الثاني ١٩٢١م ، وقد وافقت عصبة الأمم على ذلك فأبرمت المعاهدة المذكورة بين الدولتين بتاريخ ١٠/ تشرين الأول سنة ١٩٢٢م وتحددت مدة نفاذها بعشر سنوات عدّلت بعد ذلك الى أربع سنوات ببروتوكول وقّع عليه في ٣٠/ نيسان سنة ١٩٢٣م .

والذي يهمنا من نصوص هذه المعاهدة مادتها الثالثة التي نصت على مايلي :

((يوافق جلالة ملك العراق على صياغة مشروع قانون أساسي يعرض على المجلس التأسيسي العراقي ويكفل تنفيذ هذا القانون الذي لا يحتوي على ما يخالف نصوص هذه المعاهدة المذكورة وأن يؤخذ بنظر الاعتبار حقوق ورغبات ومصالح جميع سكان العراق وسوف يضمَّن القانون الأساسي للجميع حرية الرأي وحرية القيام بمختلف شعائر العقائد على أن لا يخل ذلك بالنظام العام ولا ينافي الآداب وينص على عدم التفريق بين سكان العراق بسبب قومية أو دين أو لغة ، ويؤمّن لجميع الطوائف بالاحتفاظ بمدارسها لتعليم أفرادها بلغتها الخاصة بما يتفق مع حاجات التعليم العامة التي قد تتطلبها حكومة العراق ، ويجب ان يعيّن هذا القانون الأصول الدستورية التشريعية والتنفيذية التي بمقتضاها تتخذ القرارات في جميع المسائل المهمة بما في ذلك الشؤون المرتبطة بالمسائل المالية والاقتصادية والعسكرية)).

ويقابل هذا النص المادة الأولى من عهد الإنتداب الذي تقدمت به بريطانيا إلى مجلس عصبة الأمم التي تنص على مايلي :

((ستقوم الدولة المنتدبة في أقرب وقت مستطاع لا يتجاوز ثلاث سنين من تاريخ تنفيذ الإنتداب بوضع مشروع قانون أساسي للعراق يعرض على مجلس عصبة الأمم للمصادقة عليه وتقوم بإعلانه في أسرع وقت ممكن وسيوضح هذا القانون الأساسي بعد اخذ رأي السلطات الوطنية وتكون فيه حقوق ومصالح ورغبات جميع سكان العراق المشمول بالإنتداب مع وضع الاعتبار، وسيتضمن أحكاما ترمي إلى تسهيل تقدم العراق تدريجيا كدولة مستقلة والى أن يصدر القانون المذكور سوف تدار البلاد وفقا لروح الانتداب)) .

يظهر من خلال هذا النص ، أن سلطات الإحتلال البريطاني جهدت في تسويغ الإنتداب لدى العراقيين بطيه في معاهدة ، وحرصت على أن تشير من خلال عهد الإنتداب والمعاهدة معا الى قرب صدور قانون أساسي للبلاد يضمن للأفراد حقوقهم وللحكومة استقلالها ، وكان الغرض من هذا التسويغ تهدئة حالة البلاد وروح الثورة التي كانت سائدة فيها آنذاك .

وعلى أثر تأسيس الدولة العراقية سنة ١٩٢١م ، أعلن الملك فيصل الأول في خطاب التتويج الذي ألقاه في ٢٣ آب ١٩٢١م ، بأن أول عمل سوف يقوم به هو المباشرة في إجراء انتخابات المجلس الذي سيتولى بمشورته وضع قانون أساس للبلاد يقوم على قواعد الحكومات السياسية الديمقراطية ، ويعين أسس حياتها السياسية والاجتماعية.

وصرح قائلا: ((ولتعلم الأمة أن مجلسها هو الذي سيضع بمشاورتي دستور استقلالها على قواعد الحكومات السياسية الديمقراطية ، ويعين أسس حياتها السياسية والاجتماعية....)) .

وعلى هذا الأساس قامت الوزارة النقيبية الثالثة ، وبتوجيه مباشر من الملك فيصل الأول، وغير مباشر أحيانا أخرى ، بتأليف عدد من اللجان ضمت عراقيين وبريطانيين لدراسة ووضع القانون الأساسي (الدستور) العراقي .

مراحل أعداد القانون

في ضوء ذلك بَدأ الإعداد لمشروع القانون الأساسي ، وقد مر المشروع قبل تقديمه بصيغته النهائية إلى المجلس التأسيسي بست مراحل ابتداءً من تكليف لجنة في وزارة العدلية العراقية تتألف من (الميجر يونغ) ممثل وزارة المستعمرات البريطانية (والمستر دراور) مستشار وزارة العدلية .

بدأ العمل لإعداد لائحة القانون الأساسي العراقي أواخر سنة ١٩٢١م ، فتألفت اللجنة الأولى لتحضير مشروع القانون قوامها الميجر يونغ التابع إلى دائرة الشرق الأوسط في وزارة المستعمرات والذي ألحق بالخدمة في دائرة المندوب السامي البريطاني ، والمستر دراور مستشار وزارة العدلية في الحكومة العراقية، والمستر نيجل دافيدسون السكرتير القانوني للمندوب السامي وترأس هذه اللجنة برسي كوكس ، واستعانت هذه اللجنة بالدستور الأسترالي والنيوزيلندي والتركي والإيراني وبعض الدساتير الأخرى .

وقد تضمن هذا المشروع تأليف مجلس باسم (مجلس الملك) يعهد إليه تشريع ما يخص شؤون المعاهدة العراقية البريطانية ، وتضمن أيضا مادة تضفي الشرعية على البيانات والأنظمة والقوانين التي سبق وأن أصدرها القائد العام للقوات البريطانية في العراق ، والحاكم الملكي العام ، والمندوب السامي وكذلك ما أصدره الملك فيصل الأول .

يتضح مما تقدم أن البريطانيين الذين أعدوا وضع لائحة القانون الأساسي العراقي ، أرادوا أن يضمنوها ما يعزز مركزهم في العراق ، وهكذا أريد بالدستور أن لا يصبح أداة للحكم فقط وإنما وسيلة من وسائل السياسة تحافظ على المعاهدة التي أبرموها مع العراق سنة ١٩٢٢م وتسهل أمور الإدارة بموجب الإلتزامات التي أخذتها بريطانيا على عاتقها بوصفها دولة منتدبة.

وتبيّن للجنة ان أسهل الطرق للوصول الى هذه الغاية ، هي وضع أكثر ما يمكن من الصلاحيات وفي ضمنها صلاحيات التشريع بيد الملك وبيد المندوب السامي بصورة غير مباشرة بصفته الاستشارية ، وعلى قدر الإمكان إبعاد الفرص التي قد تتخذها المجالس المنتخبة وسيلة لعرقلة مساعي الحكومة ، بعد ذلك أرسلت اللائحة إلى وزارة المستعمرات مع الميجر يونغ في أوائل سنة ١٩٢٢م لتدقيقها مع الموظفين المختصين، فأجرت تعديلات فيها وأعادتها الى مندوبها في العراق ليقدمها الى الحكومة العراقية .

مشروع بغداد الاول اذار ١٩٢٢م

أحيل بعد ذلك مشروع اللائحة الى الحكومة العراقية ، وعرضت على الملك فيصل الأول، فتألفت لجنة لتدقيقها وهي اللجنة الثانية وقوامها ، وزير العدلية العراقي ناجي السويدي، ووزير المالية ساسون حسقيل، ومستشار وزارة العدلية المستر دراور ، والمشاور الحقوقي في دار المندوب السامي ، وحضر جلسات اللجنة رستم حيدر السكرتير الخاص للملك فيصل فوجدت اللجنة أن هذه اللائحة لا تنطبق على الأحوال السائدة في العراق ولا تلائم أوضاعه العامة ، واحتج الوزيران العراقيان على اللائحة لأنها اشترطت صلاحية التصديق على كل قانون يسنه مجلس الأمة بموافقة الملك ،كما حرمت على مجلس الأمة وضع أي تشريع يخالف معاهدة التحالف ، وعلى هذا أبدلت بلائحة جديدة استمدت مفاهيمها من الدستور العثماني ومن بعض الدساتير الاخرى ومنها اليابان وأرسلت إلى وزارة المستعمرات في لندن بتاريخ ١٦/ نيسان ١٩٢٢م .

أما التطورات التي توصلت اليها هذه اللجنة ، فهي وضع صيغة جديدة اشتقت من الدستور العثماني وبعض الدساتير الأجنبية الأخرى ، ولكن حصل خلاف بين العضوين العراقيين والأعضاء البريطانيين بشأن تحديد صلاحيات الملك وبعد أن ثبّت كل فريق ملاحظاته أرسلت مسودة اللائحة إلى الحكومة البريطانية وفي ذلك يقول ناجي السويدي : (إنْ خلافاً في وجهات النظر وقع بين العراقيين والبريطانيين من أعضاء اللجنة ، لذلك أرسلت اللائحة الى الحكومة البريطانية وعرضت على هيأة استشارية أيدت ملاحظات أعضاء اللجنة العراقيين بخصوص سلطة المجالس النيابية وجعل الحكومة تحت أشراف المجلس النيابي

فيصل الاول

وتحقيق مسؤولياتها أمامه) بعد ذلك أعيدت اللائحة إلى الحكومة العراقية .

وبعد ان أعيدت اللائحة الى بغداد عرضت على الحكومة العراقية ، فتشكلت لجنة خاصة في وزارة العدلية قوامها ثلاثة أعضاء من الحكام وثلاثة من الحقوقيين برئاسة وزير العدلية (عبد المحسن السعدون) وباشتراك (دراور) مستشار وزارة العدلية ، و (ناجي السويدي) الذي استقال من وزارة العدلية بسبب خلافه في مجلس الوزراء أثناء مناقشة مسالة اعتداء الوهابيين على القبائل العربية ، واشتراكه في هذه اللجنة بصفة مشاور حقوقي مع (رؤوف الجادرجي) ، وقد تمكنت اللجنة من أجراء التعديلات اللازمة على اللائحة ، فجعلت سلطة المجلس النيابي أوسع مما كانت عليه في السابق ، وبعد ذلك عرضت على مجلس الوزراء فأجرىَ التدقيق فيها وأدخل لزوم منح الثقة من المجالس التشريعية الى الحكومة العراقية .

أرسل مشروع بغداد الثاني إلى وزارة المستعمرات ، التي كانت رغبتها بوضع القانون من أجل السيطرة على مجلس الأمة العراقي عن طريق الملك لتضمن تحقيق العلاقات التي نظمت بواسطة المعاهدة ، وكتب وزير المستعمرات عند إرسال المشروع بعد تنقيحه إلى بغداد يقول:-

(وصلتُ الى نتيجة هي أنه يكفي في جميع الظروف أن نعطي الملك صلاحية إصدار تشريع عند الضرورة بشكل مرسوم يضمن تحقيق التزامات الحكومة العراقية المدرجة في المعاهدة وان يشترط لهذا الغرض عدم الحاجة إلى عرض المرسوم على مجلس الأمة للمصادقه عليه) .

وقد تحقق هذا فعلاً عند إقرار القانون الأساسي في الفقرة الثالثة من المادة (٢٦) التي نصت على إنه (إذا ظهرت ضرورة أثناء عطله المجلس لاتخاذ تدابير مستعجلة لحفظ النظام والأمن العام أو لدفع خطر عام فللملك الحق بإصدار مراسيم بموافقة هيأة الوزارة يكون لها قوة قانونيه) ، ووجدت وزارة المستعمرات عدم ضرورة مسؤولية الوزراء أمام الملك ، وأن تقتصر المسؤولية أمام مجلس النواب فقط ، وقررت أن يتم قبول لائحتها المنقحة كشيء نهائي .

مشروع القانون بشكله النهائي

بتاريخ ٢٢آذار سنة ١٩٢٤ م صدرت أرادة ملكية بدعوة أول مجلس تأسيسي في العراق، وفي ٢٧آذار سنة ١٩٢٤م إجتمع هذا المجلس بعد أن كان من المقرر افتتاحه في الخامس والعشرين منه ، وعدّ هذا اليوم عطلة رسمية وأقيمت المهرجانات يوم الإفتتاح ، وافتتح الملك فيصل الأول جلسة هذا المجلس بخطاب أكد فيه ثلاث أمور مهمة وهي :

١- إقرار المعاهدة العراقية - البريطانية، وبذلك تتمكن البلاد من تدعيم سياستها الداخلية والخارجية .

٢-سن الدستور العراقي وبذلك يتحقق تأمين حماية حقوق الأفراد والجماعات وإقامة سيادة الدولة الداخلية .

٣-سن قانون الإنتخاب الذي ينتخب على أساسه المجلس النيابي الذي يجتمع لينوب عن الأمة ويراقب أعمال الحكومة .

وقد انتخب المجلس في بداية جلسته عبد المحسن السعدون رئيساً له ، وفي ١٠ نيسان سنة ١٩٢٤م قرر المجلس تأليف لجنة مؤلفة من (١٥) نائبا لتدقيق لائحة القانون الأساسي، وقد انتخب من بينها أمجد العمري رئيساً ويوسف غنيمة مقرراً لها للبحث في مشروع القانون الأساسي وتقديم تقرير عنه وقررت اللجنة الإطلاع على جميع المراسلات والأوراق المتعلقة بتنظيم لائحة القانون الأساسي ، وطلب الاستيضاح والمعلومات التي تحتاج إليها من الحكومة وفي ١٤ نيسان بدأ المجلس في دراسة مشروع القانون الأساسي ، و أتم هذه الدراسة في ست عشرة جلسة .

لقد أدخل على المشروع الذي وضعته اللجنة بعض تعديلات غير أساسية وإن جميعها لم تكن جوهرية ، ولم يتجاوز عدد الذين اسهموا في المناقشة أحد عشر عضواً من مجموع أعضاء المجلس البالغ عددهم مائة عضو ، ومن أبرز الأمور التي ناقشها المجلس هي ما يتعلق بالحقوق القومية للأكراد ، ومسألة وراثة العرش بعد الملك وقد شهد المجلس جدالاً حاداً حول مجلس الأعيان وضرورة بقائه، وغيرها من الأمور التي لم يتخذ قرار بشأنها .

من خلال ما تقدم يلاحظ أن معظم الاقتراحات التي قدمت لتغيير المشروع لم تحظ بالموافقة ، وبذلك تكون سلطة الاحتلال البريطاني قد ضمنت تأمين مصالحها من خلال وضع أكثر ما يمكن من الصلاحيات التشريعية بيد الملك وفي ضوء ذلك وجد المجلس التأسيسي نفسه مرغماً على إقرار المشروع كما هو، بعد أن تبيّن للأعضاء المعارضين في داخل الجلسة أن لا جدوى في معارضته، هذا وقد انتهى المجلس من مناقشة مشروع القانون الأساسي وأقره بالإجماع في ١٠ تموز سنة ١٩٢٤م ، كما ألفت لجنة لمراقبة طبع القانون الأساسي ، وأخيراً صدر هذا القانون في ٢١ آذار سنة ١٩٢٥م أي بعد أكثر من ثمانية شهور من تاريخ انتهاء المجلس التأسيسي من إقراره وذلك لفسح المجال للحصول على إمتياز النفط لصالح الشركات البريطانية من مجلس الوزراء دون عرض الإمتياز على مجلس الأمة واصبح للعراق بموجب هذا الدستور حكومة ممثلة وديمقراطية محددة بالقانون .

وحين تشكلت لجنة القانون الأساسي لتقوم بمهمتها تقدم ممثلو عشائر العراق من أعضاء المجلس التأسيسي بعريضة إلى الملك فيصل جاء فيها : ((لاحظنا في هذه اللائحة لا توجد مواد تكفل حقوق العشائر الا سوى الفقرة الثانية من المادة السابعة والثمانين التي لا تتفق تمام الإتفاق مع رغبات العشائر وعاداتهم ، وإذا كان للعشائر قواعد جارية وأحكام متبعة في فصل قضاياهم الجزائية والمدنية تختلف عن الأحكام المثبتة في القوانين النافذة على سكان المدن أتينا جلالتكم بهذه العريضة مسترحمين أن يضاف الى لائحة الدستور المواد التالية إثباتاً لهذه الحقوق :

١- تفصل قضايا العشائر الجزائية والمدنية بموجب عاداتهم وعرفهم ويوضع قانون خاص بها.

٢-الأراضي التي تحت تصرفهم لا تتجزأ ولا تباع ولا تعطى لأي شركة كانت أو لأي شخص آخر غيرهم .

٣- تحافظ حقوق رؤساء العشائر الرسميين على عشائرهم بموجب قانون خاص .

٤- لا ينفذ الحكم العرفي على العشائر الا بعد تصديق المجلس النيابي ، وإذا ما التئم المجلس النيابي فتشكل لجنة من رؤساء العشائر في اللواء الذي تقع فيه الحادثة ويوجب تشكيل مجلس عرفي اذا صادقوا عليه.))

وعند مراجعة المادة السابعة والثمانين من القانون الأساسي ، وجدنا انها لا تتعلق بمحتوى العريضة المرفوعة الى الملك فيصل الأول ، وإنما المقصود هو المادة الثامنة والثمانون ، وكانت هذه المادة قد نصت على ما يلي :

تؤسس محاكم أو لجان خصوصية عند الاقتضاء للأمور التالية :

١- لمحاكمة أفراد القوات العسكرية العراقية عن الجرائم المصرح بها في قانون العقوبات العسكري .

٢- لفصل قضايا العشائر الجزائية والمدنية بحسب عاداتهم المألوفة بينهم بموجب قانون خاص.

٣- لحسم الخلافات الواقعة بين الحكومة وموظفيها في ما يخص خدماتهم .

٤- للنظر في الخلافات المتعلقة بالتصرف في الأراضي وحدودها .

لذلك عدّلت اللجنة هذه المادة وأصبحت الفقرة الثانية منها تنص على مايلي:

(لفصل قضائيا قضايا العشائر الجزائية والمدنية بموجب قانون خاص تراعى فيه عاداتهم المألوفة).

ويذكر أن هذه المادة كانت في الأصل قبل التعديل تنص على كلمة (يجوز) ولما قدمت إلى المجلس لمناقشتها طالب مندوبو العشائر تبديلها بكلمة (يلزم) ودار نقاش حول الموضوع انتهى بوضع كلمة (تؤسس) ولم يوافق المجلس على كلمة (يلزم) بدلا من (يجوز) ولقد رأى المجلس التأسيسي أن يطلق عبارة (القانون الأساسي) بدل (الدستور). واصطلاح القانون الأساسي ليس غريبا على الفقه الدستوري ، ذلك أن هذا الاصطلاح كان سائداً في أوربا في القرن السابع عشر والقرن الثامن عشر ، وكانوا يقصدون به ذلك القانون الأسمى في البلاد الذي يشمل على الأحكام الأصولية التي لا يمكن أن تغير بحال من الأحوال ، اللهم الا اذا أجمعت الأمة على هذا التغيير بكامل عددها او بأغلبية هذا العدد ، والذي دفع أعضاء المجلس التاسيسي اختيار هذه العبارة كونها عربية صحيحة بخلاف لفظ (دستور) .

محتويات القانون الأساسي العراقي :

بلغ عدد مواد القانون الأساسي العراقي عند صدوره(١٢٣) مادة موزعة على مقدمة وعشر أبواب وعلى النحو التالي :

المقدمة : وقد اشتملت على أربعة مواد ، تكلم المشرع في المادة الأولى عن تسمية القانون (بالقانون الأساسي) ، وفي المادة الثانية تكلم عن نظام الحكم ، وفي المادة الثالثة ذكر ان عاصمة البلاد وهي بغداد ، والرابعة بين شكل العلم العراقي .

ثم أَردف هذه المواد بالكلام عن أحكام القانون في أبواب عشر :

الباب الأول تكلم عن حقوق الشعب في المواد من(٥-١٨)، الباب الثاني تكلم عن الملك وحقوقه في المواد من (١٩-٢٦) ، الباب الثالث تكلم عن السلطة التشريعية في المواد من (٢٧-٦٣) ، وفي الباب الرابع تكلم عن الوزارة في المواد من (٦٤-٦٧)، والباب الخامس تكلم عن السلطة القضائية في المواد من ٦٨- ٨٩ ، والباب السادس تكلم عن الأمور المالية في المواد من(٩٠-١٠٨)، الباب السابع تكلم عن إدارة الأقاليم في المواد من١٠٩-١١٢، الباب الثامن تكلم عن تأييد القوانين في المواد من(١١٣-١١٧)، الباب التاسع تكلم عن تعديل إحكام القانون الأساسي في المادتين (١١٨-١١٩) ، وفي الباب العاشر تكلم عن مواد عمومية في المواد من (١٢٠-١٢٣).

تعديلاته

جرت ثلاثة تعديلات على القانون الأساسي العراقي خلال مدة نفاذه من ١٩٢٥م- ١٩٥٨م التعديل الأول تم في تموز سنة ١٩٢٥م بموجب قانون تعديل القانون الأساسي الذي أصدرته وزارة عبد المحسن السعدون الأولى ، وجاء في الأسباب الموجبة لهذا التعديل بأن الظروف التي وضع فيها القانون الأساسي أدت إلى وقوع الكثير من النواقص فيه التي ظهرت أثناء التطبيق لذلك كان لابد من تلافيهاوقد شمل هذا التعديل ثماني مواد وهي المادة (٢٢) إذ أصبحت هذه المادة بفقرتين بعد أن كانت فقرة واحدة ، والمادة (٢٣) والمادة (٣٤) والمادة (٣٨) والمادة (٤٠) والمادة (٥٠) والمادة (٨٢) والمادة (٨٣) .

أما التعديل الثاني فقد تم في تشرين الأول سنة ١٩٤٣م بموجب قانون تعديل القانون الأساسي رقم ٦٩ لسنة ١٩٤٣م وهو تعديل واسع جرى في عهد الوصاية ، وقد سوغ التعديل لسببين الأول : أن الظروف التي سن فيها القانون الأساسي قد أدت إلى أن وقع فيه الكثير من النواقص التي ظهرت أثناء التطبيق مما اضطرت الحكومة إلى تعديل بعض مواده في سنة ١٩٢٥م ، غير أن هذا التعديل جاء محدوداً بقدر ما سمحت به الظروف في ذلك الوقت ، والسبب الثاني : فقد ذكرت المذكرة الإيضاحية لتسويغ التعديل أنه لما كانت التطبيقات البرلمانية في مختلف الظروف والأدوار قد أثبتت عدم كفاية ذلك التعديل بعد تطور العراق الحديث ، ولما كانت القوانين يجب أن تساير تطور الأمم حتى يتلاءم بين القواعد القانونية والحياة التي تحكمها لذلك لا بد من ضرورة النظر في تعديل القانون الأساسي المعمول به حتى يمكن ان يتماشى هذا القانون مع ضرورات الحياة العراقية الراهنة وقد صدر هذا التعديل في عهد وزارة نوري السعيد وشمل التعديل خمسين مادة بالإضافة والحذف واعادة الصياغة .

أما التعديل الثالث فقد تم على اثر الإعلان عن قيام الاتحاد الهاشمي بين العراق والأردن بالشكل الذي يتلاءم والتغيير الذي حصل في شكل الدولة فتم تعديل المادة (٢٤) بالصيغة التي تتماشى وقيام الاتحاد الهاشمي ، وان هذا التعديل تم استثناء من أحكام المادة (١١٩) والخاصة بإجراءات التعديل التي تتم بعد خمس سنوات من نفاذ القانون وتتطلب حل مجلس النواب ، هذا وقد أضاف التعديل الثالث مادة مؤقتة للقانون القائم .

أما نهاية هذا القانون وتعديلاته فقد عد لاغياً اعتباراً من ١٤ تموز سنة ١٩٥٨م لنهاية النظام الملكي في العراق .

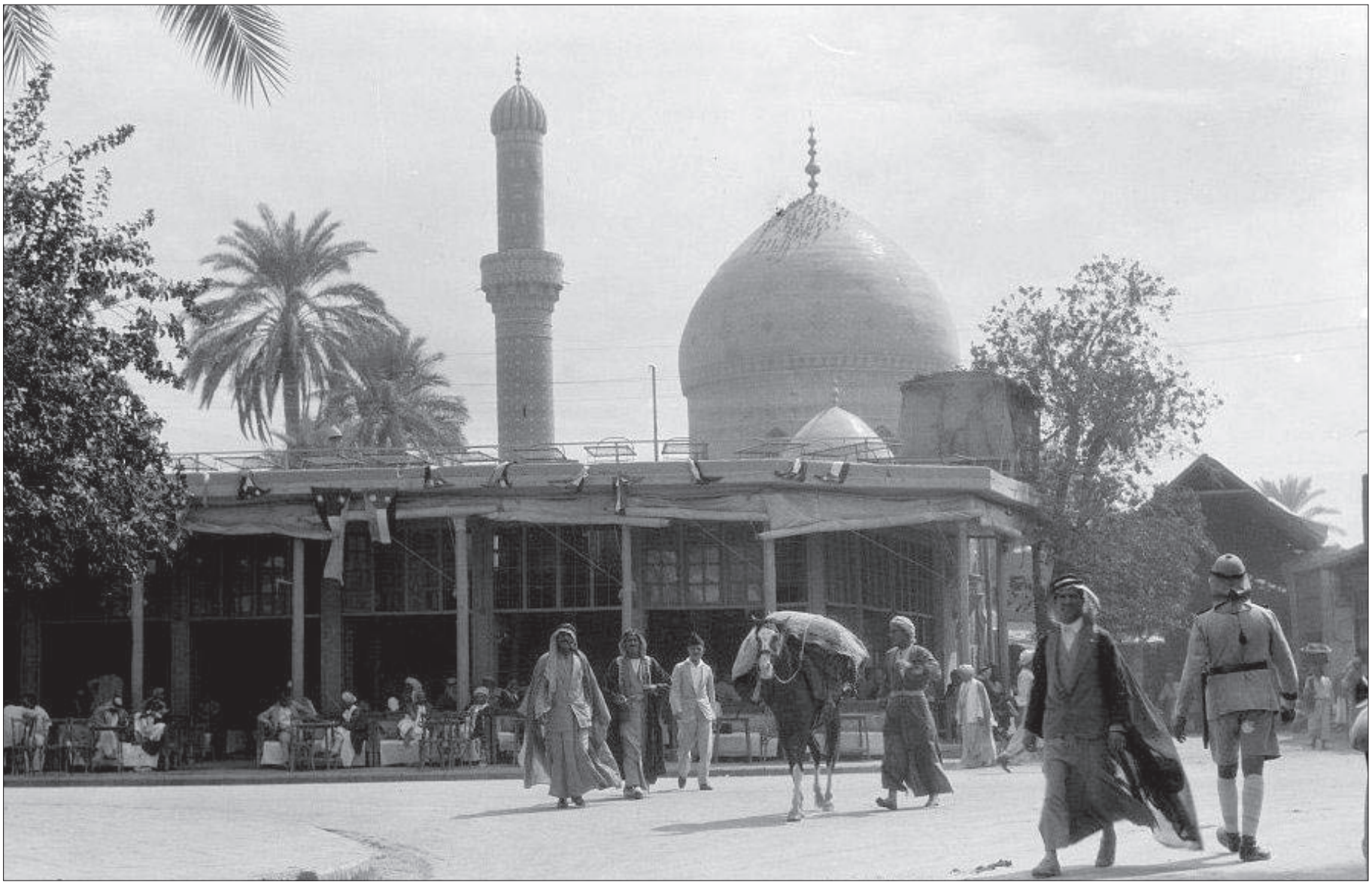

سوق الميدان في بغداد وجامع الأحمدي ومقهى البلدية صورة من عدسة المصور ماتسون

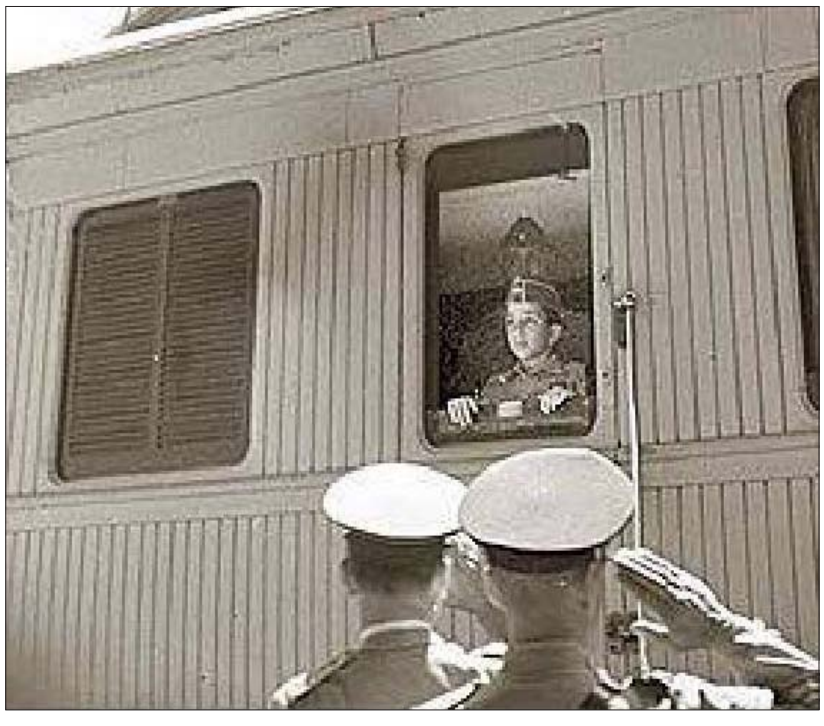

جنود بريطانيين يؤدون التحية للملك فيصل الثاني

محل لبيع التبوغ (التتن) ببغداد في الثلاثينات

العدد 3167/
السنة الثانية عشرة
الاثنين (8) ايلول 2014

مطار بغداد في
بداية انشاءه

رسوم الراديو التي كانت تستقطع من الذين يملكون جهاز راديو في بغداد

معمل الألبان والحليب المعقم في الموصل عام١٩٥٧ م

شارع الرشيد عند
منطقة السنك
في الخمسينيات

عدسة زادة عراقية

العدد 3167/
السنة الثانية عشرة
الاثنين (8) ايلول 2014

في القرن التاسع عشر
بدايات قلقة وطريفة لمشاريع الري في العراق

■ د . لمى عبد العزيز مصطفى

لم تبد الدولة العثمانية ، وحتى بدايات القرن العشرين ، الاهتمام الكافي بمشاريع الري في العراق بالرغم من اهمية هذه المشاريع للزراعة التي كانت تعد العمود الفقري للاقتصاد العرقي يومئذ . واقتصر الاهتمام بهذا المجال على جهود فردية اضطلع بها بعض الولاة العثمانيين الذين تعاقبوا على حكم العراق .
وكان لطبيعة ارض العراق ومواسم فيضان نهري دجلة وفرات ، وتوابعهما تاثيرها السلبي في الري في العراق . فبالنسبة لطبيعة الارض نجد ان ارض العراق تاخذ بالانبساط والاستواء التدريجي كلما اتجهنا من الشمال الى الجنوب ، وبالتالي كانت مناطق وسط العراق وجنوبه ابتداءً من شمال العراق بغداد وتكريت على دجلة وهيت على الفرات ، وحتى شط العرب عرضة لخطر الفيضان اكثر من غيره من المناطق .

اما بالنسبة لموسم فيضان نهري دجلة والفرات فلم يكن هو الاخر مناسباً للزراعة ، فهما يفيضان في اخر فصل الربيع وهو موسم مبكر للزراعة الصيفية وموسم متاخر جدا بالنسبة للزراعة الشتوية ، اما المسالة الاخرى فهي توافق موسم الفيضانات في بعض الاحيان مع نضج المحاصيل الزراعية ،الامر الذي يؤدي الى اغراق المحاصيل الزراعية واتلافها .
فضلاً عن هاتين المشكلتين عانى الري في العراق من مشاكل اخرى منها انه لاتوجد شبكات لتصريف المياه ، علاوة على مشكلة الرواسب (طمى الانهار) ، التي كثيراً ماترتفع فتي بعض الترع والجداول وتؤدي الى اغلاقها وبالتالي انحسار الماء عن قرى ومزارع اهله بالسكان فيضطر اهلها الى الهجرة وترك الزراعة .
اما بالنسبة لاساليب الري فمن المعروف ان اراضي المنطقة الوسطى والجنوبية تروى سيحاً من مياه نهري دجلة وتفرعاتها ، فهناك اراضي تروى بواسطة الترع والسواقي يطلق عليها "ماوي" او "سكي" وهناك الاراضي التي تروى بواسطة الات رفع المياه كالدواليب والنواعير فتسمى "كردي" او "جردي" اما الاراضي التي تغمر بالمياه فتسمى "كبيس" او "جبيس" ، وهناك الاراضي التي تعتمد على الامطار وتسمى الديم . في حين استخدمت بعض المناطق ولاسيما القريبة من ضفاف الانهار، المضخات والالات الحديثة.
حاول اخر ولاة المماليك في بغداد وهو داؤد باشا الاستفادة من ثروات العراق الزراعية والاروائية والعمل على توظيف هذه الامكانيات خدمة للاقتصاد الزراعي ومن خلال احيائه لبعض المشاريع الاروائية فقد حفر شط الهندية . فضلاً عن احياء عدد من الانهار المندرسة ومنها نهر عيسى الواقع غرب بغداد ونهر النيل حيث استخدم لكريه (٥٠٠٠) عامل وانجز العمل سنة ١٢٤٢هـ/١٨٢٦م كما يعود الفضل الى هذا الوالي في انجاز مشروع لرفع المياه من نهر دجلة .
وقام والي بغداد محمد رشيد الكوزلكي بفتح نهر الهارونية والمشيرة في ديالى بالقرب من المقدادية فضلاً كريه لعدد من الانهار والقنوات منها نهر الدجيل في منطقة بلد التابعة لقضاء سامراء حاليا وجداول النيل والشاه والعوادل والبوجماع والباشية والجربوعية والشوملي الكبير والشوملي الصغير.
واستعان والي بغداد نامق باشا بخبرة احد المهندسين المصريين المختصين بالري لتحسين القنوات المندرسة . لكن أي من تلك المحاولات لم تحقق اية نتائج ايجابية اذ استمر تقلص الاراضي الزراعية وتدهور وضعها بشكل خطير. حتى مجئ مدحت باشا ، الذي ابدى اهتماما في مجال الري وتحسين معدلات الانتاج الزراعي من خلال اتخاذه لعدد من التدابير لاصلاح الاراضي الزراعية .
وعلى اثر تحول مياه الفرات الى فرع شط الهندية، بدلاً من فرع الحلة ، الذي شحت فيه المياه . وجرت محاولات سابقة لعهد الوالي محت باشا لمعالجة تلك المشكلة . وترقى اولى تلك المحاولات الى سنة ١٢٥٢هـ/١٨٣٦م ، عندما قام الوالي علي رضا باشا اللاز ، ومحمد نجيب باشا (١٢٥٨-١٢٦٦)هـ/(١٨٤٢-١٨٤٩) م ، بانشاء سدة على فرع الهندية لغرض تحويل مياه الفرات الى فرع الحلة ، الان السدة مالبث ان تحطمت سنة ١٢٦٨هـ/١٨٥١م وتدفق منها الماء ، وفي سنة ١٢٧٥هـ/١٨٥٨م بني سد جديد لتوفير المزيد من المياه الاانه مالبث ان تصدع .
وامام فشل تلك المحاولات وكثرة شكاوى الاهالي من استمرار الحالة شكل الوالي مدحت باشا لجنة مؤلفة من عدد من مهندسي الري ، لوضع دراسة تفصيلة ومقترحات عملية لمعالجة تلك الحالة . حيث استمر العمل لمدة تزيد على الثلاثة اشهر ، ويبدو انه تغلب على المشكلة بدليل اشارة جريدة (الزوراء) الى ذلك احد اعدادها ، ان نهر الحسينية الذي يبس ماؤه من ثلاثة اشهر ، واوقع النفوس الوافرة العدد في كربلاء باظطراب العطش ، وصات عملياته مرتب الختام واطلق ماؤه . الان هذه المشكلة لم تنته اذ سرعان ماعادت وتجددت من جديد بعد سنوات .
فكر مدحت باشا في اعادة ربط نهري دجلة والفرات . عن طريق قناة الصقلاوية لتحقيق هدفين رئيسين اولهما احياء الاراضي الزراعية الممتدة بين نهري دجلة والفرات وتحديدا مناطق غرب بغداد بهدف تشجيع الزراعة من جهة ولتامين مرور السفن النهرية الى اعالي نهر الفرات لغرض التجارة والنقل من جهة اخرى ، حيث بوشر في العمل الذي انجز وصار يعرف بسدة مدحت باشا . الان عدم اتخاذ الاجراءات اللازمة لتدفق المياه الغزيرة وقت الفيضان ، ادى الى نتيجة عكسية ، سرعان ماشقت تلك المياه طريقاً جديدا الى مجرى الصقلاوية مما ادى الى خراب الاراضي الواقعة اسفل الفلوجة .
وفي الوقت نفسه نشر احد المواطنين اقتراحا على احدى صفحات جريدة (الزوراء) طالب فيه السلطات العثمانية بالافادة من قناة النهروان ، والعمل على استصلاحها من خلال انشاء سد في منطقة دلي عباس (المنصورية) ، الواقعة اسفل النقطة التي يلتقي فيها نهر ديالى بالنهروان ، الان مدحت باشا فشل في تحقيق ذلك بسبب عدم صلاحية مواد بناء السد لمقومة تيار المياه . فضلاً عن عدم تخصيص حكومة استنبول المبالغ التي تيطلبها تنفيذ هذا المشروع .
كما عمل مدحت باشا على حفر عدد من الانهار المندرسة وتطهيرها ، ومنها قناة قزلباط (السعدية) . ونهر عبد الله الواقع في قضاء (الجزيرة) ، الذي عرف فيما بعد بالحميدية ، وقد نجم عن هذه الاعمال احياء اراضي كثيرة .
كما عمل مدحت باشا على توفير المياه اسقي البساتين في جانب الكرخ من خلال حفر قناة الكنعانية القديمة ، واخذ جدولاً صغيرا الى قصبة الكاظمية لغرض سقي البساتين وسمي هذا النهر بـ (نهر الطليعة) .
ولم يكن النجاح حليف غالبية المشاريع التي اضطلع مدحت باشا بتنفيذها في العراق . وقد عزي سبب فشل تلك المشاريع الى نقص الاموال ، وقلة الخبرة الفنية فضلاً عن انعدام الدراسات الاولية ، والعمل بشكل مرتجل في اغلب المشاريع الاورائية ، علاوة على عدم اهتمام الولاة من بعده بتلك المشاريع . وقد شخص لونكريك اسباب فشل هذه المشاريع بقوله "ان الاعمال لم تكن تتعدى القيام باجراءات لتنظيم

العدد 3167/
السنة الثانية عشرة
الاثنين (8) ايلول 2014

الاعمال المحلية والطفيفة ، حيث ان الاداة لم تمتلك المعرفة ولا السيطرة ولا المال الضروري لذلك". وابدى بعض الولاة الذين اعقبوا مدحت باشا نوعا من الاهتمام بموضوع الري ، ولو بشكل نسبي ومحدد ، نذكر منهم والي بغداد رديف باشا (١٨٧٣-١٨٧٥)م الذي انشأ سد الجزائر الاانه لم يكن محكم البناء ولم تتبع في بنائه القواعد العلمية مما ادى الى تصدع السد وانهياره .

وفي اطار جهود السلطان عبد الحميد الثاني لاصلاح احوال العراق بشكل عام والواقع الزراعي بشكل خاص الذي تزامن مع استحداث الدائرة السينية ، "دائرة قومسيون السنية" فقد تم الايعاز الى بعض الولاة لتقديم افضل السبل والمقترحات لاصلاح احوال العراق وامتثالاً لهذه الاوامر قدم والي بغداد عبد الرحمن باشا (١٨٧٩-١٨٨١)م تقريراً الى السلطان العثماني عرض فيه صورة تفصيلية للاوضاع التي كانت تعيشها بغداد ابن تلك المرحلة واما الزراعة والري فقد اشار الوالي في تقريره الى تدني مستوى الزراعة والري ، وقد اقترح انشاء السدود لخزن المياه ، لاستخدامها عند الحاجة ، كما تطرق الى ماتسببه الفيضانات من اضرار كبيرة على المزرعات ، علاوة على تاكيده تجفيف المستنقعات بغية استغلال اراضيها للزراعة ، ناهيك عن التخلص من المخاطر التي تنجم عنها. ثم الحق الوالي بهذا التقرير تقريرا اخر تطرق فيه الى قلة الاهتمام بمشاريع الري بقوله "لن العراق يمتلك قوة زراعية هائلة بسبب الانهار التي تجري في اراضيه ، والتي تكفي لسقي مساحات كبيرة من الاراضي الزراعية ، وان الدولة العثمانية لو اهتمت منذ دخولها للعراق بمشاريع الري الزراعية ، كما يجب لكان العراق قد قطع شوطا كبيرا في مضمار الاعمار والازدهار ، الا ان الولاة الذين تعاقبوا عليه لم يكونوا من ذوي الكفاءة والجدارة ، ومن كان منهم يتمتع بالقدرة والكفاءة كان يقول من منصبه بعد مدة على تعيينه" .

وعلى الرغم من قصر مدة ولاية هذا الوالي ، الا ان اعماله في مجال الري كانت بارزة ، وخاصة في منطقة الحلة ، حيث عمل على حفر عدد من الانهار والجداول وتطهيرها منها العوادل والظلمية (في ناحية المحمودية) ، والباشية ، والبوحسان، والعينية ، والدولاب ، والخاتونية.

ومن ضمن التقارير الاخرى التيى تم رفعها الى السلطان عبد الحميد الثاني التقرير الذي تقدم به والي البصرة مضهر باشا سنة ١٢٩٨هـ/١٨٨٠م الذي تطرق فيه إلى انعكاسات الاوضاع السياسية المضطربة التي عاشها العراق عبر تاريخه الطويل ، على الزراعة والانتاج الزراعي عندما قال "مما هو ثابت تاريخيا ان العراق كان مقرا لدول معظمة في العالم مثل البابليين والاكاسرة والعباسيين وكان يتمتع بمستوى عال من العمران والازدهار ،

الا ان النكبات والصدمات الاخيرة ألت به الى الضعف والانهيار ، وانخفضت نسبة الاراضي فيه اليوم الى واحد من عشر مجموع الاراضي الصالحة للاعمال الزراعية ..." .

وفي تقرير اخر ناشد الوالي نفسه السلطات العثمانية الاهتمام برفع المستوى الزراعي، والتصدي الى الاطماع الانكليزية الرامية الى نهب خيرات العراق بقوله ان "الانكليز يطمحون في الاستيلاء على البصرة ، وان بقاءها في حالة التخلف يخدم مصالحهم ويمهد اهم السبيل لتحقيق اطماعهم ، من اجل ذلك فهم يعرقلون كل حركة اصلاحية تهدف الى تصحيح الاوضاع في البصرة وتحقيق الرفاه الى اهلها ..." .

وعلى اثر تعرض سد الكنعانية الواقع قرب الصقلاوية للتصدع اوعز والي بغداد مصطفى عاصم باشا (١٣٠٥-١٣٠٧)هـ/(١٨٨٧-١٨٨٩) م، باعادة بناء هذه السدة حيث اشرف بنفسه على اعادة تعميرها .

كما عانت النجف هي الاخرى من مشكلة شحة المياه ، فعلى اثر استغاثة اهالي النجف بهذا الوالي ، اوعز الاخير الى عبدى الغني افندي في الجمارة (الحيرة) بالاشراف على حفر نهر من الجمارة ، لان نهر الهندية اتسع واجتاز الكوفة ومنها الى الجمارة ، حيث قام بجمع العمال من عشائر الفرات المجاورة للنجف ، واستغرق العمل (٤٦) يوما ، اخذ النهر يصب في بركة كبيرة في بحيرة النجف الجنوبية ، وقد سمي هذا النهر بنهر عبد الغني افندي نسبة الى مأمور السينة عبد الغني افندي ، وكان حفر هذا النهر سنة ١٣٠٦هـ/١٨٨٨م . الا ان هذا النهر سرعان ما تعرض للاندثار بفعل عوامل الرياح والرمال وتحديداً في سنة ١٣٠٩هـ/١٨٩١م .

وفي اعقاب تجدد المشكلة القديمة الناجمة عن تحول مياه الفرات إلى شط الهندية بدلاً من شط الحلة ، اسهمت دائرة السنية في ايجاد حل مؤقت لهذه المشكلة عندما اوعزت بتشكيل لجنة مؤلفة من متصرفي الحلة وكربلاء ، ومحسن بك مدير الكشف في دائرة السنية الذي

قام بكشف الهر واوصى بسد جزء من صدر فرع الهندية المسمى "الرادر") فضلا عن ظاهر افندي وكيل السنية ، وبعض اصحاب الجنرة ونتيجة لاعمال هذه اللجنة فقد تمت ازالة مافي النهر من الموانع كالجزرات وغيرها .

ما والي بغداد سري باشا (١٨٨٩-١٨٩٠م) (١٣٠٧-١٣٠٨هـ) ، فتركزت اعمال الاروائية في إنشاء سدة ضخمة تم انشاؤها لمنع تسرب الفيضانات إلى وادي الصقلاوية القديم ، غير انها ما سرعان ما تعرضت للانهيار فيصما بعد نتيجة ضغط مياه الفيضانات .

كما أمر الوالي نفسه بانشاء سد اخر إلى الشمال من سدة السرية ، عرف باسم سد البرمة ، بهدف منع تسرب مياه الكسرات التي قد تحدث إلى مجرى الهر الصقلاوية عن طريق الوادي المسمى (بازول البرمة) .

وعلى اثر تفاقم مشكلة مياه شط الحلة التي اخذت بالجفاف اثر تحولها إلى شط الهندية وما رافق ذلك من تدهور في انتاج المنطقة الزراعية نتيجة لعدم توافر كميات المياه الكافية لسقي المزروعات ، وفي اعقاب انقطاع المواصلات الهندية على طريق نهر الفرات بين الحلة والبصرة . وعلى اثر استغاثة اهالي الحلة والديوانية ، انصب اهتمام الدولة ابان تلك المرحلة على إنشاء سدة الهندية . وكانت فاتحة اعمالها استقدام المهندس الفرنسي شوندرفر M. Schonder ومساعده ثيودور دوران ، اللذين اجريا كشفاً للمنطقة الممتدة على طول نهر الفرات وحتى مسكنه تمهيداً لانشاء السدة . وبعد عام تقريباً قدما تقريرهما إلى الوالي سري باشا معززاً بالخرائط . وقد احالة الوالي بدوره إلى وزارة النافعة والاشغال العامة لاستحصال الموافقة على تخصيص الاموال اللازمة تنفيذ المشروع وقد اسهمت خزينة الدولة بنصف الاموال المطلوبة ، أما النصف الاخر تم تامينة من الخزينة الخاصة ، وواردات الاراضي السنية ، وممن كانت له مصلحة من الاهالي في بناء السد ، حيث بلغت مجموع الاموال المستحصلة للمشروع ١,٧٣٣,٩٩٨ قرشاً و ٣٣ بارة .

جرى البناء بوتيرة عالية وباشراف من الوالي سري باشا ، حيث قدمت جدرية (الزوراء) في أحد تقاريرها وصفا لمساحة السد ، الذي امتد من نهر الهدية إلى مجرى الحلة وبارتفاع (٦) امتار، وعرض(١٠٠) متر ، وبطول ١٢٠٠ متر . كما ناشد الوالي رؤساء عشائر الحلة والهندية المساعدة ، فاستجابوا وامدوه بعدة الاف م العمال الذين تمت الاستعانة بهم في حفر صدر السد . وجرى افتتاح السد في ٢٥ تشرين الثاني سنة ١٣٠٨هـ/١٨٩٠م وعرف باسم "سد شوندرفر" تيمناً باسم مهندسه . ونتج عن بناء هذا السد اعادة المياه إلى شط الحلة ، كما تشير بعض الدراسات إلى أن المياه الزراعية عادت إلى مجاريها إذ بدأت الحياة الاقتصادية في الحلة والمناطق المحيطة بها بالانتعاش من جديد بعد الانتهاء من اعمال تلك السدة سنة ١٣٠٨هـ/١٨٩٠م .

غير أن السدة لم تصمد طويلاً ، لاسباب عدة منها الترسبات المستمرة ، متانة البناء . مما ادى إلى خراب اجزائها منها فيما بعد .

وفضلاً إلى هذه الجهود التي قام بها الولاة في مجال الري ، كان لدائرة السنية اسهاماتها الواضحة في هذا المجال ، من خلال انشائها لعدد من السداد ، فضلاً عن إلى الكثير من القنوات والجداول التي حفرتها أو قامت بكريها ، حيث كان لتلك الاسهامات تاثيراتها الايجابية في تطوير النشاطات الزراعية في العراق ، فعلى سبيل المثال لا الحصر اسند إلى هذه الدائرة مهمة تحكيم عدد من السداد ومنها سدتا المدرة، والموجة ضمت قضاء الكوت الامارة . فيما قامت الدائرة نفسها عام ١٨٩٢ بتطهير نهر الحسينية.

وفي اعقاب انقطاع المياه عن النجف ، نتيجة لاندثار نهر عبد الغني بفعل عوامل الرياح والرمال ، وعلى اثر شكاوي اهالي النجف بادر قائمقام النجف خير الله افندي ، بمساعة دائرة السنية باعادة حفر صدر هذا النهر ، حيث جرى الماء صم جديد إلى النجف.

لكن معاناة اهلي النجف لم تنته إذ سرعان ما تعرض النهر للاهمال فترسبت فيه الرمال وانقطع الماء عن النجف ، فندب أهل النجف قائمقام النجف خير الله افندي إلى حفر نهر عبد الغني يصكون كالمدد له وقد رفع القائمقام الأمر إلى بغداد ، فقام الوالي بدوره بالطلب من استانبول بحفر نهر جديد لمدينة النجف قرب النهر الاول ، فصدر الأمر من السلثبطان بحر ذلك النهر الذي يسمى احيانا بنهر (الحميدية) ، نيبة إلى اسم الشلطان عبد الحميد ، وسمى احيانا بنهر (الحيدرية) ، نسبة إلى اسم (حيدر) ، وهو من اسماء الامام علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ، حيث تم الاحتفال بجريان نهر الحميدية في سنة (١٣١١-١٣١٢هـ)(١٨٩٣/١٨٩٤م) .

كما قامت الدائرة السنية سنة ١٣١٢هـ/١٨٩٤م بشق نهر من هور اب نجم في لواء الديوانية ليروي اراضي الشنافية حيث سمي هذا النهر بنهر السنية .

أما بالنسبة لسدة الهندية فإنها لم تصمد طويلا إذ سرعان ما تعرضت للاهمال بعد نقل ضالوالي سري باشا وتصدعت بعض جوانبها ١٣١٤هـ/١٨٩٦م) ، مما استدعى القيام باصلاحات بلغت كلفتها ١٧٤٤٧٥ ليرة تركية . لتنهار مرة اخرى على اثر فيضانات سنة ١٣٢١هـ/١٩٠٣م .

ويدخل ضمن اهتمامات الولاة العثمانيين ففي مجال الري جهود والي بغداد عطالله باشات (١٣١٤-١٣١٧هـ)(١٨٩٦-١٨٩٩م) ، ي سنة ١٣١٦هـ/١٨٩٨م تم تشكيل لجنة متخصصة لمراقبة السداد الواقعة في اطراف ولاية بغداد ، وكلفت هذه اللقجنة بفحص السداد وبيان ما تحتاج منها إلى الاصلاح والتقوية ، واشرت اللجنة اعمالها في تشرين الاول سنة ١٣١٦هـ/١٨٩٨م .

كان لوالي بغداد نامق باشا الصغير (١٣١٧-١٣٢٠هـ)(١٨٩٩-١٩٠٢م) اسهاماته الواضحة ايضاً في هذا الميدان من خلال تحكيم عدد من السداد القائمة على نهر دجلة . والفرات ، وقد اسهمت هذه الجهود في الحد من الآثار السلبية الناجمة عن فيضانات نهري (دجلة والفرات) ، لاسيما النهر الاخير وتحديداً سنة ١٣١٨هـ/١٩٠٠م .

وعلى اثر انقطاع مياه نهر الفرات عن مدينة الديوانية بادر هذا الوالي سنة ١٣١٩هـ/١٩٠١م إلى الايعاز بحفر نهر الرشادي ، وبذلك حصلت المنطقة مجدداً على المياه اللازمة للري .

كما عمل هذا الوالي على اصلاح عدد من القنوات والانهار ، منها نهرا الحلة والزلية في قضاء الحلة . ونهر الحسينية في كربلاء . ونهر اليوسيفية في سنجق الديوانية . فضلاً عن إنشائه لبعض السداد على نهر (الخالص) المتفرع من نهر (ديالى) والمتشعب إلى (الخالص الغربي) ومنطقة (التحويلة) ، وكان الغرض من هذه السداد توزيع الاستحقاق الكافي من المياه على اهالي المناطق المسكونة حولها .

وعلى اثر انهيار سدة العويجة سنة ١٣١٩هـ/١٩٠٧م وانقطاع الماء عن جدول الخالص وما نجم عنه من اتلاف مزروعات تلك المنطقة ، اوعز ناسق باشا باعادة إنشاء هذا السد في السنة نفسها .

أما بالنسبة إلى اسرة الهندية التي اخذت بالتدهور السريع على اثر التداعي الجزئي الذي لحق بها بعد فيضان سنة ١٣٢١هـ/١٩٠٣م . حيث تدفقت معظم مياه الفرات إلى شط الهندية مجددا ، مما ادى إلى انخفاض كبير جداً في مياه شط العرب الحلة مخلفا وراءه الدمار والخراب في مناطق الحلة والديوانية والدغارة . لمعالجة المشكلة اوفدت الحكومة العثمانية المهندسين الفرنسي موجل M . Moujel لبناء الاستحكامات اللازمة لسدة الهندية وتعميرها . الأمر الذي ادى إلى ارتفاع منسوب المياه في شط الحلة ، فنتج عن ذلك احياء مساحات كبيرة من الاراضي بما فيها اراضي السلطات المعروفة بالاراضي السنية .

إلا أن السدة سرعان ما تعرضت للانهيار مرة اخرى ، واصبحت الحالة في شط الحلة اسوأ مما كانت عليه قبل إنشاء السدة . وامام الوضع المتردي الذي امست عليه السدة استقدمت الحكومة العثمانية خبير الري الفرنسي شوشود سنة ١٣٢٣هـ/١٩٠٥م ، فقام بدراسة المشكلة ثم قدم تقريره الفني المتضمن تصوراته للمشكلة ومعالجتها ، إلا أن تلك المقترحات ونتيجة للاهمال والتسيب الاداري العثماني. لم تاخذ طريقها للتنفيذ وبالتالي فإنها بقيت جسراً على ورق . مما نجم عنه بقاء مناطق مهمة من العراق تحت وطأة الظروف الطبيعية المتقلبة .

العدد 3167/
السنة الثانية عشرة
الاثنين (8) ايلول 2014

وثائق

مع السائح العراقي "الصغير" خليل نامق الاوقاتي

طاف في أقطار الشرق الأقصى بستة دنانير

التقى بالممثل كلين فورد في اليابان

بقلم: فاضل العاني

* التقى بالكابتن طاوسند خطيب الاميرة ماركريت سابقا . عند زيارته للهند .
* احبته الامريكية فوهبته دولاراتها .. وعشقته الهولندية فأعطته قلبها ومالها ..
* كاد يفقد رأسه .. في سبيل مغامرة تملكته منذ سنين .

* اسمه خليل نامق الاوقاتي .
* عمره ((٢٦)) سنة
* دراسته اعدادية .
* يسكن محلة الوزيرية حاليا .
* ولد في محلة (الجاي) بكركوك .
* اعزب
* يعرف اللغات الانكليزية والتركية والايرانية والكردية وقليلا من القفقازية .
* من هواة الرقص الغربي

■ شاب ككل الشباب المغامر .. المندفع .. المقدام .. له افكاره .. ودوافعه واتجاهاته .. ونزواته .. وهواياته .

■ كانت مجرد خواطر تمرح في ذهنه كلما التقى بسائح اجنبي .. ولكنها على مر الايام ترعرعت وازدهرت حتى صارت امنية من امانيه الحبيبة فسعى جاهدا لتحقيقها ..

■ ولم اصدق عيني وهما تجولان في وجه هذا الشاب النحيف .. الخجول ذي الابتسامة المرحة .. والشعر المجعد الذي جاء ليحدثني عن (رحلة) لم تخل من مغامرة .. وتهور .. قام بها عبر البحار والجبال .. والغابات انه خليل نامق الاوقاتي السائح العراقي (الصغير) ..

وسألت السائح « الصغير » ذا الابتسامة المحببة والشعر المجعد ..

■ لماذا قمت بهذه الرحلة ؟ وكيف اختمرت فكرة السياحة في ذهنك ؟

■ كانت مجرد فكرة .. مرت ببالي .. ولم اهتم لها باديء بدء .. ولكن مجيء بعض السواح الاجانب الى العراق واتصالي بهم .. حفزني الى تحقيق « الفكرة »

راقصة اندونيسية

التي نضجت وقتئذ فصارت مهيئة للاقتطاف والسبب الاول الذي دعاني الى القيام بهذه الرحلة .. هو رغبتي الصادقة في ان اثبت للعالم ان في العراق شبابا بامكانهم المغامرة .. والسفر للتجوال في كل البلدان مثل السواح العالمين لاننا لا نقل عنهم ذكاء .. وجراة .. وكفاءة .

■ كيف بدأت سياحتك ؟

المحرر والسائح الصغير

ذاكرة
العدد 3167/
السنة الثانية عشرة
الاثنين (8) ايلول 2014

شاب بوذي متدين

فأطرق برأسه قليلا ثم بدا يقص علي حوادث سفرته والابتسامة لا تفارقه

■ اتصل بي سائح برازيلي وراح يروي لي رحلاته العديدة التي طاف خلالها في اكثر بلدان العالم .. وجاء الان لاتمام رحلته الى ايران والهند وبقية اقطار الشرق الاوسط .. وحثني على مرافقته لكي اطلع على احوال العالم . . واثاره .. وحياة الناس .. التي تختلف عن حياتنا وتقاليدنا .. وعاداتنا . فاوعدته بذلك .

وفي مساء يوم ١١-١١-٩٥٦ جمعت بعض ملابسي والادوات التي احتاجها خلال الرحلة في حقيبة جلدية وبعثت بها خلسة الى الفندق الذي يقطن فيه هذا السائح البرازيلي .. وكنت اخاف على والدتي ان تسمع بنبأ الرحلة فتمنعني .. فجئتها وقلت لها .. اني ساسافر الى البصرة لانهاء بعض الاعمال التي تخصني فودعتني وهي تقول لي بصوتها الدافيء الحنون .

ـ دير بالك يا ابني على نفسك ..

فلثمت يدها وخرجت راكضا خوف ان تفضحني دموعي التي بدات تتلألأ في عيني .. وفي نفس الليلة ركبت والبرازيلي في سيارته .. وبدانا الرحلة ..

فذهبنا الى خانقين وكان معي ستة دنانير فقط ومنها الى قصر شيرين وهناك تركني البرازيلي لاواصل السياحة بمفردي ـ وعند الحدود .. تعرفت الى سائق ايراني كان يسوق سيارة (لوري) ولما عرف الغاية التي تركت بسببها بلادي واهلي طلب مني ان ارافقه الى طهران .. فجلست الى جانبه .. وواصل السير ، ومررنا ببعض المدن الايرانية .. وكان السائق يصرف علي من ماله الخاص .. حتى وصلنا طهران .. ودخلتها لاول مرة .

ان طهران عاصمة جميلة ذات عمران متين .. وقد وجدت عند اخواننا العطف والتشجيع والمساعدة .. وهناك ايضا التقيت بصاحبي البرازيلي فاخذني معه الى (جمعية الاسد الاحمر)، وهي جمعية خيرية وقد قدم لنا رئيسها بعض المساعدات المالية عند مكوثي في ايران زرت اكثر مدنها .. ومنها مدينة كرمنشاه .. وهي من الوية ايران الكبيرة فيها معامل للسكر و (الزوالي) .. كما وجدت فيها فندقا يسمى (بيستون) وهو من الملاهي الراقية .. و في نواحي كرمنشاه توجد بقايا من ابنية تاريخية ما زالت صامدة بوجه الزمن تروي للسواح والاهالي قصصا عن عظمة الامجاد ..

ومكثت في ايران بضعة ايام ثم تركتها الى الجمهورية الباكستانية فوصلتها بتاريخ ١٣-١٢-٩٥٦

وهناك التقيت بالشاب الحزين الكابتن طاوسند خطيب الاميرة ماركريت (سابقا) وكان متألما .. حزينا ..

وظللت في الباكستان .. مدة من الزمن زرت خلالها مدينة كراحي وسكر .. وحيدر آباد . ولاهور وراول بندي وبشاور ..

وهنا تعرفت بامراة امريكية .. وقد قضيت بصحبتها وقتا طيبا حينما عرفتني سائحا لانها تحب الرياضة والمغامرات والسياحة تجمع الاثنتين .. وقد اهدتني بعض الدولارات . وكاميرا .. وبعدها غادرت الى الهند بالقطار .. وصلت الى مدينة امرتسار ـ الهندية المشهورة بالمقبرة الذهبية وبعد زيارة مدن الهند الرئيسية توجهت الى كامبور ومنها الى الله اباد وباناراس وكلكتا التي تعتبر من اكبر المدن الهندية وبعدها ركبت القطار الى مدينة يامبور وهي مدينة تقع على حدود باكستان الشرقية واستمر القطار حتى وصلت نهاية الخط الحديدي . وفي باهور ركبت باخرة اوصلتني الى ميمانسيك حيث بدا الخط الحديدي الى داكا عاصمة الباكستان الشرقية ومن داكا الى حيناكون وهي تعتبر من اهم الموانيء ...

ثم ذهبت بزورق صغير الى كوكس بازار وتكناف التي تقع على الحدود الباكستانية ومن هناك ركبت زورقا صغيرا ..

وقرب احدى الغابات انزلني

السائح عند دخوله لاول قرية في بورما

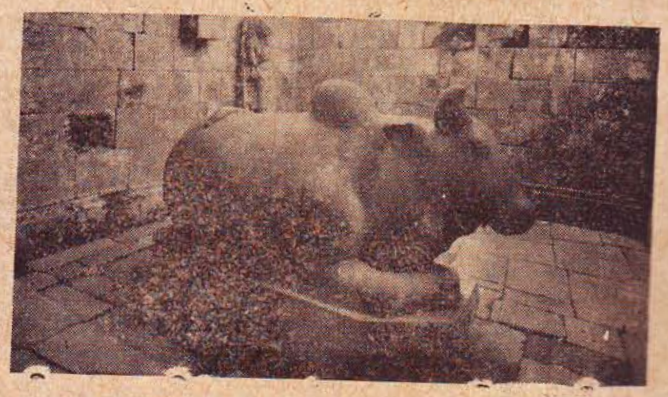

الثور (المعبود) في الهند

العدد 3167/
السنة الثانية عشرة
الاثنين (8) ايلول 2014

بعض معالم الموصل التاريخية في القرن التاسع عشر

السور، المعابد، القلعة ، القشلة ، السراي

■ د . عروبة جميل محمود

تعد الموصل ثاني المدن العراقية من حيث الأهمية بحكم من موقعها الجغرافي ، وامكانياتها الاقتصادية ، فضلا عن تكوينها التاريخي الذي اتصف بالاصالة والتطور .

تقع الموصل على الضفة الغربية لنهر دجلة ، ضمن رقعة جغرافية متموجة تربط بين اقليم الجبال ذي المسالك الوعرة والاقليم الصحراوي ذي السهول المنبسطة ، مما جعلها مركزا عمرانيا استيطانيا مهما لكلا الاقليمين . اما تحديد موقع المدينة بقياس خطوط الطول والعرض ، فان الموصل تقع عند تقاطع خط العرض (٣٦) شمالا ، وخط الطول (٤٣) شرقا .

عرفت الموصل باسماء عديدة ، منها بـ (الموصل) لأنها تصل ما بين الفرات ودجلة . كما وردت اسماء مدينة الموصل في المدونات التاريخية الاجنبية ، اذ ورد اسم "مسبلا" (لدى المؤرخ الاغريقي (زينوفون) في مدوناته التاريخية في احداث سنة ٤٠١ ق.م باسم كما وردت عند المؤرخين السريان باسم "حصن عبرايا" ، كما سميت (نواردشير) وتعني عند الفرس الساسانيين عرين الاسد .

ووصف الموصل (بالحدباء) الجغرافي الاسلامي "ياقوت الحموي" لوجود احتداب نهر دجلة خلال مروره بالمدينة وتعرجات في جريانه ، غير ان الجغرافي الاسلامي "ابن بطوطة" اسماها بالحدباء نسبة إلى قلعتها المحدودبة ، وورد في تاريخ الاولياء : "انها سميت بالحدباء ، لان البيوت والمحلات فيها لم تقع على مستوى واحد بل بعضها قلاع وبعضها في منخفض من الارض ، ويعتقد ان التسمية مشتقة من كلمة حدباب" وكانت تطلق بشكل عام على الديار في عهد انتشار المسيحية . وفضلا عن ذلك فقد عرفت الموصل بأم الربيعين لأن الله حباها بربيعين في فصلي الربيع والخريف ، وكذلك عرفت بـ (الخضراء) لاخضرار براريها وضواحيها عند سقوط الامطار بغزارة في فصلي الشتاء والربيع .

ولاعطاء صورة عن النشأة والتطور العمراني لمدينة الموصل ، يمكن وصفها على وفق الأبعاد الآتية :

سور المدينة

احاط مدينة الموصل سور امتاز بمتانته تصميما وبناء وذلك لغرض الدفاع والتصدي لهجمات الاعداء التي استهدفت المدينة في فترات تاريخية متباينة ، ولهذا السبب كان السور يرمم بعد انتهاء تلك الهجمات التي تركز على هدمه لدخول المدينة ، ولعل آخر تلك الترميمات ما حصل في سنة (١٧٤٣م) وتضمن السور ابراج وابواب عدة فضلا عن وجود خندق مائي من نهر دجلة ليؤدي دوره في اكمال التحصينات .

وأظهرت الدولة الاموية (٤١هـ/٦١٦م) اهتماما بسور الموصل ، ومن الملاحظ ، ان تناقض آراء المؤرخين القدامى أمثال ابن الاثير ، والبلاذري والأزدي والحموي ، في اول من شرع ببناء سور المدينة ، قد اظهر تباينا في آراء المؤرخين المعاصرين حول تاريخ بنائه على نحو دقيق . اذ نجد الصوفي يورد ان الوالي محمد بن مروان بن الحكم هو اول من بنى سور الموصل في العهد الاموي . في حين ذكر سعيد الديوه جي ان الوالي سعيد بن عبد الملك (٦٨٤-٧٠٧م) هو اول من بنى السور . وتجدر الاشارة إلى ان بعض المراجع التاريخية اشارت إلى ان الولاة الامويين الثلاثة قاموا بالفعل ببناء سور المدينة واعماره كل حسب توليته لامارة الموصل ، اذ كانت المدينة معرضة لاعمال التمرد والعصيان واستفحال الحركات الخارجية ، وتشير بعض المصادر التاريخية إلى بقاء السور قائما إلى عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد الذي أمر بهدمه عام ٧٩٦م فبقيت المدينة بدون سور حتى عام ١٠٨١ اذ قام الامير مسلم بن قريش العقيلي ببناء سور الموصل ، ولم يرد ذكر لسور الموصل ابان حكم الحمدانيين للموصل (٩٠٥-٩٩١م) إلى ان تولى بنو عقيل الحكم فيها (٩٩٠-١٠٩٥م) وهم الذين شيدوا السور اذ استغرق بناؤه ستة اشهر مما يشير إلى قصر المدة التي شيد فيها فلم يكن من القوة مقارنة بسور الموصل في العهد الاتابكي . وفي فترة الحكم الاتابكي (١١٢٧-١٢٦١م) اتخذ عماد الدين زنكي (٥٢١-٥٤١هـ) الموصل قاعدة لدولته وعني بعمارة المدينة وتحصينها فعمر سورها ووسعه من الجهة الشمالية للمدينة وادخل الميدان بما فيه قصور الامارة داخل السور الجديد . كما رفع السور من سائر جهاته وعمق الخندق الذي يحيط به فكان هذا سنة (١١٣٣م) وقد وصف الرحالة الاسلامي ابن جبير هذا الانجاز مشيدا بفخامته ومناعته .

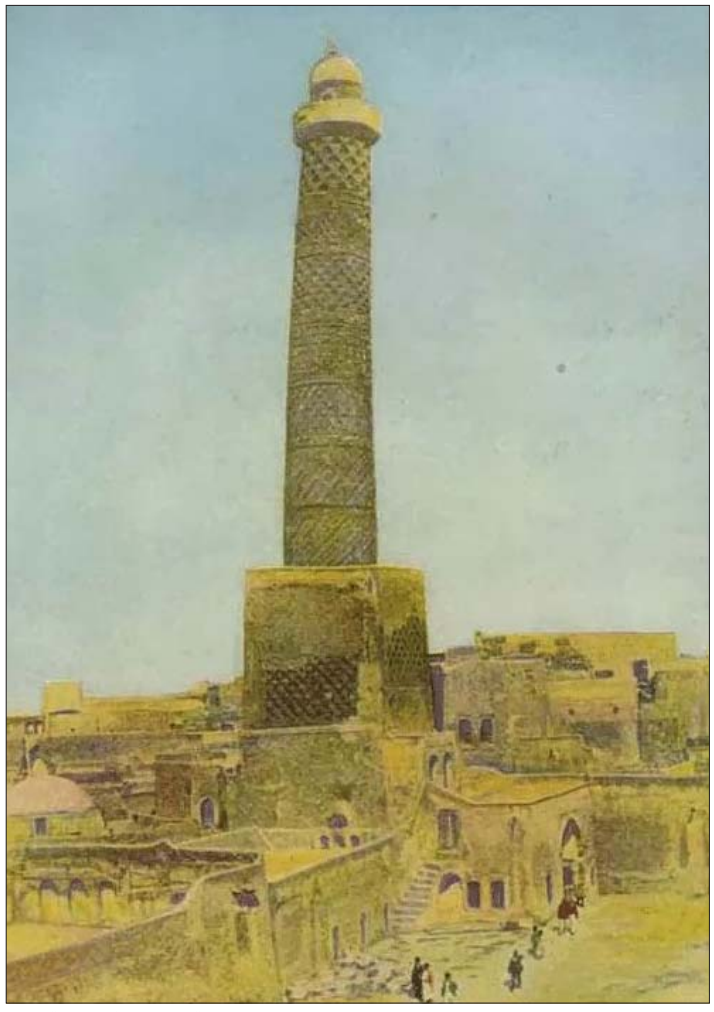

المنارة الحدباء في اوائل القرن العشرين

واعطى الصوفي ملاحظات قيمة عن سور المدينة ابان العهد العثماني ، واشار إلى ان واليها بكر باشا اسماعيل (١٦٣٠م) اول وال قام بترميم سور المدينة ، فبعد ان هدمه الغزو المغولي ، رمم السور مرات عدة ، ففي عام (١٧٤٣م) قبيل حصار نادر شاه ثم تولى (الحاج حسين باشا الجليلي) والي الموصل (١٧٢٧-١٧٤٦م) مع ابناء مدينته القيام باعمار السور ثم جرى ترميم آخر في ولاية سليمان باشا الجليلي عام (١٧٨٥م) ، فقد بلغ ارتفاع السور في العهد العثماني عشرة امتار وسمكه ثلاثة امتار وكان آخر ترميم للسور عام (١٨٢١م) ، وقد رافق الترميم اجراء تعمير عدد من ابواب السور وفتح ابواب جديدة بناء على الحاجة الماسة من جراء اتجاه العمران نحو شمال وغرب المدينة في العهد الاتابكي .

وتباينت آراء الصوفي والديوه جي في عدد ابواب مدينة الموصل اذ يذكر الصوفي ثلاثة عشر بابا وهي على النحو الآتي :

(باب الجسر) ، (باب الطوب) ، (باب القش) ، (باب السراي) ، (باب الجديد) ، (باب البيض) ، (باب العمادي أي باب الوباء) ، باب شط عين كبريت (باب السر) ، باب شط المكاوي (باب المشرعة) ، (باب شط القلعة) ، (باب سنجار) ،(باب السر) ،(باب الحرية) .

في حين يذكر الديوه جي احد عشر بابا ، على النحو الآتي :

باب الطوب ، باب لكش ، باب السراي ، باب الجديد ، باب البيض ، (باب العمادي أو باب الوباء أو باب الحرية) ، (الباب الصغير) ، (باب شط عين كبريت) ، باب شط الحصى ، باب شط المكاوي ، باب القلعة .

ويلاحظ ان الصوفي اورد الابواب التي استحدثت في العهد العثماني والابواب التي كانت موجودة في السور ابان حكم الاتابكيين ، اما الديوه جي فقد اورد ابواب السور في العهد الاتابكي واكتفى بايراد ابواب السور التي استحدثت في العهد العثماني ، ومما يلاحظ ان الديوه جي قد كرر ذكر باب شط المكاوي مرتين.

المساجد والجوامع والكنائس :

عرف الموصليون بالتزامهم الديني والاخلاقي سواء على مستوى فهم مبادئ الشريعة الاسلامية واستيعابها ، أو في آدابهم النابعة من فضائل الدين الاسلامي ، اذ ما زالت الموصل تتصف بكونها بالمدينة المحافظة على التزامها الديني الاسلامي .

شهدت الموصل تطورا ايجابيا ملحوظا في بناء المساجد فضلا عن الجوامع التي كانت تقام بها الصلوات بما فيها صلاة يوم الجمعة ، مثل جامع الاغوات الذي شيده في عهد الدولة العثمانية سنة ١٧٠٣م الاخوة (اسماعيل وخليل وابراهيم) من عائلة الجليلي . وهذا يوضح مدى اهتمام الموصليين وحرصهم على ممارسة الشعائر الدينية وتثقيف الناس بالثقافة الاسلامية التي تعد حصنا اخلاقيا منيعا للمجتمع .

اما على مستوى المساجد ، فقد شهدت مدينة الموصل حركة ايجابية بتشييد المساجد ، ففي سنة ١٧٦٧م قام احد تجار الموصل المدعو "عبد الحافظ الموصلي" بتشييد جامع العلوة الواقع في منطقة باب السراي الحالية .

وفي السياق ذاته اقدم احد وجهاء الموصل المدعو "حسن افندي بن شعبان" بتشييد مسجد جامع كان الهدف منه استقطاب الاهالي لاداء الشعائر الدينية ومنها الصلاة .

وعلى الرغم من قلة المعلومات التاريخية عن المساجد والجوامع الا ان جذور تشييدها تنبع من حرص اهالي مدينة الموصل على استمرارية الشعائر الاسلامية ، وانتشار العلوم الاسلامية داخل الاوساط الاجتماعية المختلفة . فالمساجد ادت دورا ايجابيا في اقامة الحلقات العلمية فضلا عن دورها في صلاة الجمعة التي تعد منبرا الهدف منه اشاعة الوعي الديني والاخلاقي في المجتمع الموصلي .

كما شيدت مدارس دينية ملحقة بالمساجد والجوامع مثل مدرسة جامع سوق العلوة ، اذ اوقف له الحاج عبد الحافظ الموصلي دعما ماديا لغرض استمرار الدراسة فيها، التي تضمنت علوم اللغة العربية والفقه الاسلامي وعلم الحديث. وفي سنة ١٨٤١م اقدم الوالي محمد باشا اينجه بيرقدار على تجديد المدرسة والجامع على السواء، وهنالك منها مدرسة محمد بن خياط الملحقة بمسجد الامام ابراهيم الواقع في سوق الشعارين، اذ قام احمد بن محمد الخياط بتجديد المسجد وجعله مدرسة دينية في عام ١٨٥٦م ، كما اوقف مجموعة من الكتب الدينية النادرة في المدرسة.

وكان للمساجد والجوامع مكانة مرموقة في نفوس الاهالي ولها دورها الديني الفاعل في

من صور الموصل في العهد العثماني

ذاكرة
العدد 3167/
السنة الثانية عشرة
الاثنين (8) ايلول 2014

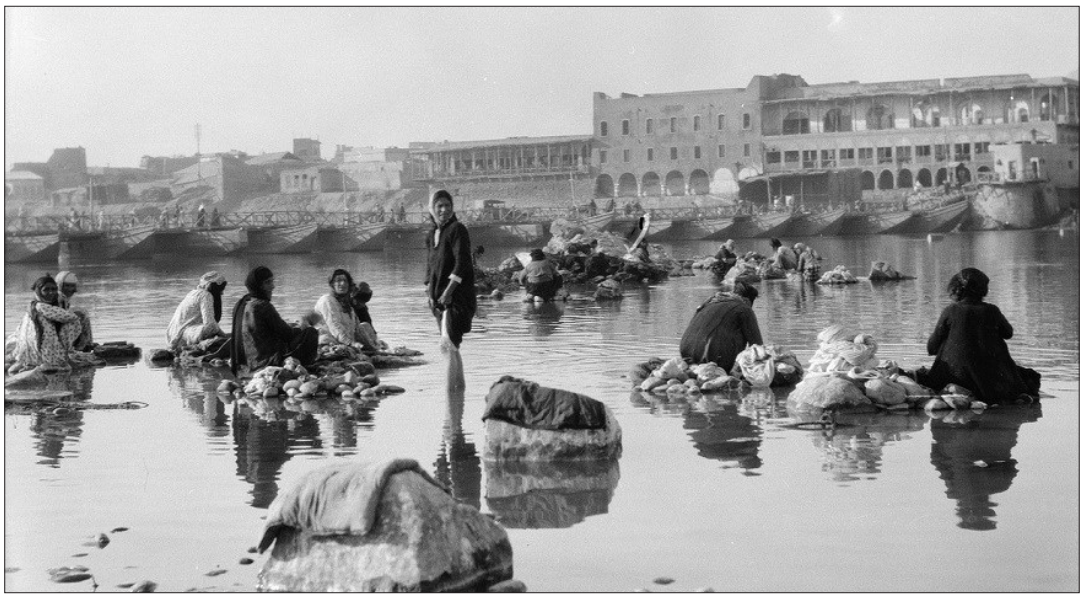

من صور الموصل في العهد العثماني

الحياة العامة فقد شهدت مدينة الموصل العديد من المساجد والجوامع ، التي تعد بمثابة منشآت دينية وثقافية واجتماعية فهي من الناحية الدينية مكان للعبادة واقامة الشعائر من صلاة وقراءة القرآن الكريم واقامة المواليد النبوية ، ومن الناحية الثقافية تعد مكاناً لتدريس العلوم الدينية وتعليم القراءة والكتابة ، ومن الناحية الاجتماعية تعد مكاناً لاجتماع العامة من الناس في الاعياد الدينية والمناسبات الاجتماعية ، فضلا عن كونها "مأوى لمن لا يجد له مسكنا من الفقراء وللمسافرين والمتعبدين ، وكان في هذا ما يخفف بعضاً من اعباء الحياة ومصاعبها" .

ليس هناك اتفاق كامل على عدد المساجد والجوامع في مدينة الموصل ابان العهد العثماني ، وتذكر بعض المصادر التاريخية الى وجود (١٨ جامعا) فضلا عن وجود

(٥٠ مسجد) ، وهذا يعطي تصورا عن مدى الاهتمام الواضح بانشاء المساجد والجوامع في تلك الفترة التاريخية .

وتجدر الاشارة إلى ان المساجد والجوامع التي كانت موجودة قبل القرن التاسع عشر، ادت ادوارها الدينية والعلمية ومنها ، جامع الاغوات وجامع الباشا ، وجامع الرابعية وجامع الزيواني ، وجامع النبي شيت التي كانت موضع نشاط واهتمام لاهالي الموصل بهذه الاماكن الدينية والعلمية التي تصب في الحفاظ على المجتمع الموصلي وكانت تلك المساجد والجوامع تبنى بحجر (الحلان والمرمر) الذي اتصف بمتانته وصموده امام تداعيات الزمن وهذا ما يفسر مقاومة هذه الابنية لفترة طويلة .

أما الكنائس فيعود وجودها في مدينة الموصل إلى فترات تاريخية قديمة ، واتسمت من الناحية العمرانية بالحفاظ على متانة بنائها الحجري ضمن تخطيط عمراني يتناسب مع اهدافها الدينية بوصفها اماكن العبادة ، فعلى سبيل التمثيل هناك موضع خاص يسمى (المذبح) ، واماكن اخرى للقساس والرهبان القائمين على متابعة الامور الدينية في تلك الكنائس . ومن تلك الكنائس كنيسة مار اشعيا الواقعة في محلة رأس الكور حاليا .

ونشطت الطوائف المسيحية ببناء العديد من الكنائس في مدينة الموصل ، اذ شيدت طائفة الارمن كنيسة الارمن في سنة ١٨٥٧م الواقعة في زقاق محلة حوش الخان احدى ازقة مدينة الموصل . كما شيد الكاثوليك كنيسة مار توما في محلة خزرج سنة ١٨٦٥م . كما نشطت فعاليات ترميم الكنائس المسيحية ابان تلك الفترة التاريخية ومنها تجديد كنيسة المياسة التي رممت في سنة ١٨٥٣م وتجديد كنيسة ماراشعيا الواقعة في محلة راس الكور وذلك في سنة ١٨٥٥م ، فضلا عن ترميم "دير مار متي" الواقع في ضواحي مدينة الموصل وذلك في سنة ١٨٥٨م ، وتم تجديد دير (مار ميخائيل) الواقع على نهر دجلة في سنة ١٨٦٧م ، وكذلك جددت كنيسة مار احوديمي في محلة القنطرة سنة ١٨٩٦ .

كان الحفاظ على الكنائس في مدينة الموصل يحقق اهدافا دينية بوصفها دورا للعبادة . فضلا عن اشاعة التسامح الديني ما بين المسلمين والنصارى فالمجتمع الموصلي باطيافه الدينية والقومية حرص على التماسك الاجتماعي منطلقا من انتمائه المحلي المحافظ عبر تاريخ المدينة.

القلعة

وتعرف القلعة بقلعة باشطابية الواقعة على مقربة من نهر دجلة في الجانب الايمن منها ، وتسمية باشطابية ترجع إلى اللغة التركية ، فهي مؤلفة من كلمتين الاولى (باشن) وتعني الرئيس ، و(طابية) تعني البرج وما زالت تعرف بها.

ان المعلومات المتعلقة بقلعة باشطابية مستمدة من تاريخ تأسيسها في فترة حكم عماد الدين زنكي (٥٢١-٥٤١هـ/١١٢٧-١١٤٦م) ، اذ اتخذها مركزا عسكريا لجيوشه التي حاربت الصليبيين ، وكانت مخزنا للمواد والاسلحة حينذاك وبعد السيطرة العثمانية على الموصل عام ١٥١٦م شرع العثمانيون باعادة ترميمها لاتخاذها برجا للاسلحة والمؤن ، واحدثوا في القلعة فتحات كبيرة تتسع الواحدة منها لمدفع ، واخرى صغيرة على شكل مزاغل يرمى منها اطلاقات البنادق ، وهكذا عمل الولاة العثمانيون على توسيع اقسام القلعة وانشأوا لها سورا متصلا بسور البلد ، وبنوا فيها غرف للجيش . وفضلا عن ذلك يوجد قلعة داخلية تعرف باسم (ايج قلعة) بناها الوالي بكر باشا بن اسماعيل باشا بن يونس الموصلي سنة (١٠٣٠هـ/١٦٢٠م) ، اذ كانت مركزا الولاية والجيش .

يقوم تصميم القلعة على بناء عمراني مجوف بشكل ساحة داخلية محدودة ، فضلا عن انشاء عدد من الغرف تؤدي ممراتها إلى دهليز اتخذه العثمانيون ممرا سريا ومنفذا داخل القلعة إلى خارجها ، فيما تتركز الجدران على عدد من الركائز الجدارية مثلثة الشكل لامكانية فتح المزاغل التي تعد نوافذ مهمة في القلعة ويشيد برج اصغر حجما فوق البرج الاساس للقلعة ، وما بين البرجين هناك ممر عرضه (١٧٠سم) وسمكه (١٩٠سم) في القاعدة ويقل السمك كلما ارتفع البناء إلى الاعلى ، ويوجد في جدران البرج اربعة فتحات كبيرة نسبيا بقياس فوهة مدفع واحد فضلا عن وجود المزاغل بين تلك الفتحات ، التي تشكل نوافذ لرصد تحركات العدو في حالة استهدافه المدينة . وفضلا عن ذلك ، يوجد في اعلى جدار البرج (١٨ شرفة) ، لتمثل مقطعاً نصف دائري وشكلاً هرمياً في تصميمه . ويلاحظ في هذا التصميم العمراني للقلعة الاخذ بنظر الاعتبار الجوانب العسكرية التي تعد الهدف الاساس من بناء القلعة فضلا عن مرونة الحركة في داخل القلعة مما يضفي اجواء مناسبة للنشاط العسكري فيها .

ومن الجدير بالذكر ان الرحالة ابن جبير زار مدينة الموصل في سنة (٥٧٩هـ/١١٨٣م) واصفا قلعتها بقوله "وفي اعلى البلد قلعة عظيمة قد رص بناؤها رصا ، ينتظمها سور عتيق البنية مشيد البروج ، وتتصل بها دور السلطان وقد فصل بينها وبين البلد شارع متسع يمتد من اعلى البلد إلى اسفله ، ودجلة شرقي البلد وهي متصلة بالسور" والقصد من ايراد هذا النص المتعلق بالقلعة يكمن في طبيعة بنائها القوي منذ ذلك الحين . ومما يؤكد ذلك فشل حملة نادر شاه في السيطرة على مدينة الموصل سنة (١١٥٦هـ/١٧٤٣م) في عهد الوالي حسين باشا الجليلي مما يدل على اهتمام اهالي الموصل وولاتها بتجديدها وترميمها بوصفها اهم معالم المدينة الحربية.

حافظت القلعة على مكانتها واهميتها ، اذ قام الوالي احمد باشا الجليلي بترميمها في سنة (١٢٣٧هـ/١٨٢١م) ، ومن تلك الترميمات اعادة ترميم الاسوار والنقوش والمدونات فوق باب القلعة (لا اله الا الله ... فضلا عن وجود آيات قرآنية مجيدة منها قوله تعالى : (نَصْرٌ مِنَ اللهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ).

لقد وصف الضابط الانكليزي جونس مدينة الموصل حينما زارها في سنة (١٢٦٩هـ/١٨٥٢م) قائلا : "ان الدار الخاصة بالباشا ، وثكنات المدفعية تقع على حافة نهر دجلة جنوب شرقي الاسوار ومستودع الذخيرة (الطوبخانة) تتوسط بينهما باب الطوب" .

وابان ادارة الوالي العثماني محمد اينجه بيرقدار (١٢٥١-١٢٦٠هـ/١٨٣٥-١٨٤٤م)، عمد إلى مغادرة القلعة بوصفها المركز الاداري والعسكري ، اذ عمل على استحداث ثكنات للجند خارج سور الموصل ، ومنها الطوبخانة وتقع بالقرب من الجامع المجاهدي (نسبة إلى مجاهد الدين بن قيماز) المعروف لدى اهالي الموصل بـ (جامع الخضر)، اذ اتخذه موقعا للدفاع ، كما انشأ دارا للضيافة ، فضلا عن انشائه المستشفى العسكري لتقديم الخدمات للقوات العثمانية الموجودة في القصبة وفي اثر ذلك هجرت قلعة الموصل لتداعيات الزمن، احد اهم معالم الموصل الحضارية .

القشلة والسراي

القشلة هي بناء لاهداف عسكرية ومدنية ، قام بتشييد قشلة الموصل الوالي محمد إينجه بيرقدار وذلك في سنة (١٢٥٩هـ/١٨٤٣م) ولغرض انجاح مشروع بناء القشلة طلب الوالي محمد اينجه البيرقدار من وجهاء الموصل وتجارها المساهمة في تأمين الامكانيات المادية لغرض انجازها .

وتجدر الاشارة إلى ان البيرقدار استعان بخبرة الضابط الالماني مولتكه اثناء مروره بمدينة الموصل طالبا منه وضع تصميم معماري لادارة أعمال الولاية . وتقديرا لجهود مولتكه ، فقد اهداه البيرقدار ساعة ثمينة .

وتم البناء على اساس نوعين من القشلات ، القشلة المدنية والقشلة العسكرية ، احتوت القشلة المدنية على دوائر الولاية ذات الصلة بامور المجتمع المدني . اما القشلة العسكرية، فكانت على شكل ثكنات للجيش ، صممت وفق الاصناف العسكرية العثمانية ، فهناك قسم لقوات الخيالة (السباهية) واخرى لقسم المشاة (البيادة) . مع وجود مكان يعد مركزا للارزاق والمؤن وتهيئة الطعام ، اما القسم الآخر فكان بمثابة مستشفى (خسته خانه) للوحدات العسكرية . اما الطابق الثاني فقد خصص مكانا لمبيت الوالي ، فضلا عن بناء جامع تقام فيه الصلوات التي كان يحضرها عموما ، منتسبوا القشلة من العسكريين ، فضلا عن الموظفين المدنيين ، وتجدر الاشارة إلى ان الانتهاء من بناء القشلة كان في عام (١٢٥٨هـ/١٨٤٢م) .

ولا بد من الاشارة إلى ان موقع القشلة بجانبها العسكري والمدني كانت تقع في المنطقة المطلة على نهر دجلة وتشغلها حاليا بلدية الموصل والمستشفى العسكري . وفي الجهة المقابلة للقشلة يقع المتحف الحضاري بالقرب من حديقة الشهداء .

اما السراي ، فيعود في جذوره التاريخية إلى حقبة الحمدانيين والعقيليين والاتابكة ، والذي كان يمثل في بدايته دورا رسمية للحكام والقوات العسكرية .

اما تسميتها بالسراي فكانت منذ العهد العثماني حين اطلق العثمانيون تسمية (السراي) على تلك الدور ، وقد اتخذها الولاة العثمانيون مقرا لادارة شؤون ولاية الموصل ، فضلا عن اهميتها العسكرية ، وفي هذا الصدد وصف الرحالة الإنكليزي بكنغهام (السراي) بقوله "والقوة العسكرية الموكل اليها امر الدفاع عن المدينة وما جاورها لا تتجاوز ألف رجل ، ومعظم هؤلاء من الخيالة ، ويعمل نصف هذا العدد منهم في قصر الباشا أو منزله الذي شيده وهو واسع الأرجاء، وضم دواوينه ودوائره حتى بدا وكأنه إحدى القرى الصغيرة" .

يتكون التصميم العمراني للسراي من عشرين غرفة مستطيلة الشكل ، مما يدل على سعة المكان، وبما يتناسب مع المهام التي اعتمدها الوالي في ادارة شؤون المدينة .

فيضان دجلة في اواخر العهد العثماني في الموصل

المطرب الراحل عبد الصاحب شراد

■ ثامر العامري

المطرب الريفي عبد الصاحب شراد ذو الصوت الشجي والقوي والاداء المتميز والقادم من اعماق الريف العراقي والذي كانت اغانيه على شفاه الناس لفترات الفن الذهبية في الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي .

ولد في بغداد في عام ١٩٢٧..
لقد نما حب الغناء في نفسه عن والده السيد شراد وحيد الذي كان يجيد الغناء ولكنه لم يحترفه.
في اوائل عام ١٩٥٢ انطلق من الاذاعة صوت غنائي ريفي جديد.. صوت لشاب تميز بجمال صوته الطروب وطابعه الريفي الخاص.. انه المطرب عبدالصاحب شراد الذي اصبح في ما بعد من المع مطربي الغناء الريفي فهو مطرب اذاعي وتلفزيوني ناجح
لقد كان يعمل عاملا في شركة الغزل والنسيج العراقية.. فقد بدأ في هذه الشركة كعامل واصبح برادا في شعبة النسيج.
اقامت شركة الغزل والنسيج في مطلع عام ١٩٥٢ حفلة ترفيهية لعمال المصنع برعاية الاستاذ اديب الجادر وزير الصناعة الاسبق والذي كان انذاك مديرا عاما للشركة..ورشح بعض العمال ليقوموا بالتمثيل والغناء وكان عبد الصاحب شراد واحدا من بين اولئك المغنين.. وفي تلك الحفلة غنى اول مرة امام جمهور كبير من العمال واصدقائهم وكان بعض المطربين والمطربات الاذاعيين مدعوين الى تلك الحفلة منهم المطربة راوية وكبير المذيعين يومذاك – محمد علي كريم – وكان احد المصريين هو السيد عبدالرحمن المصري الذي سمعه فشجعه كثيرا وقال له بعد الحفلة:
صاحب ان صوتك جميل جدا وصالح للاذاعة.. فلماذا لاتغني؟ وكان قوله هذا خير مشجع له.. وقدمت له بعد الحفلة هدية وهي كاس فضية قدمها له الجادر المدير العام تقديرا لمساهمته في تلك الحفلة التي ظهرت فيها موهبته كمطرب ريفي جديد وفعلا تقدم الى الاذاعة للعمل كمطرب فيها في نفس العام ووافقت لجنة القبول باغلبية الاصوات، باربعة اصوات مقابل صوت واحد هو صوت (حضيري ابو عزيز) العضو الوحيد الذي عارض في قبوله كمطرب.. غير ان رأي الاغلبية قرر اعتباره مطربا اذاعيا وفعلا خصصت له ثلاث حفلات غنائية حية
في كل شهر.
كما غنى من التلفزيون بناءا على رغبة المدير العام – انذاك- المقدم عبدالستار رشيد وفعلا بدأ يغني في ركن الريف.. ثم انتقل الى تقديم حفلات غنائية في كل شهر اربع حفلات بمصاحبة فرقة التلفزيون الموسيقية
زار الملحن المصري المعروف محمد الموجي بغداد ، ضمن جولة تسويقية شملت عدة بلدان عربية، اذ انشأ في حينها شركة انتاج مع السيد بدير والمخرج السوري نذير عقيل، وكانت تربط الموجي علاقة حميمية بمدير اذاعة بغداد انذاك، وحسب قول مدير الاذاعة: دخلنا ذات صباح انا والموجي الى استوديو الموسيقى فسمع مطربا شعبيا اسمه عبد الصاحب شراد يسجل احدى اغنياته. ادهشه صوته بنقائه وقوته، وجلس الموجي ينصت بكل جوارحه، الى ان انتهى شراد من غنائه، فقال: اريد ان التقي بهذا المطرب ، لقاء عمل، وبالفعل حصل اللقاء ، فقال له : اسمع اعرض عليك ما يلي: تأتي معي الى القاهرة وتقيم على نفقتي الخاصة، على ان تتفرغ لألحان سوف اضعها لك واقوم بتدريبك عليها . ساطلقك بعد ستة اشهر في سماء الغناء العربي، بعد ان اعلمك فن الظهور والتصرف بنجومية. شرطي الوحيد ان توقع معي عقد احتكار لمدة خمسة اعوام اتقاسم فيها معك كل ما سوف تحصل عليه من المال
اعجاب الموسيقار محمد الموجي بالمطرب الريفي عبد الصاحب شراد، وتبني موهبته ليطلقه نجما في سماء الاغنية العربية، هذا العرض كان مطمح وغاية كل مطرب، لا سيما انه صانع النجوم وكان في اوج عظمته في صياغة الالحان الخالدة، بعد ان غنت له كوكب الشرق ام كلثوم وعبد الحليم حافظ ونجاة الصغيرة وكبار المطربين العرب..
ما تتوقعون ان يرد شراد على الموجي ؟
لنعود الى القصة: لم يصدق عبد الصاحب شراد ما سمع . حتى ان الفرحة اخرسته فلم ينبس ببنت شفة. وخرج ولم يقل له ولو كلمة شكر عابرة!.
وقبل ان يسافر الموجي دعوت المطرب المذكور لمقابلته. فاعتذر، ورفض العرض، وقال: انني راض عما انا فيه الان، فلماذا اغترب واغامر وقد افشل واعود بعد ذلك لابدأ من جديد .
فتفوت على مطربنا صاحب شراد فرصة ذهبية، لا تأتي الا للذي له حظ كبير، ولتغيرت حياته رأسا على عقب، ولانتشلته من القاع الى مصاف النجوم العرب، لكنه زهد بشهرة كبيرة طرقت بابه . بسبب روحه التي يغلفها الخوف من امتطاء صهوة المغامرة، وعدم وعيه باهمية الفرصة المواتية.
رحل هذا الفنان ولا يزال في ذاكرة الناس بعد ان قدم عدة اغان لاتزال الناس ترددها مثل
أه ياعيني
ذبي العباية
تتندم علي
سفرتكم لطولوهه
الهجع
أه يا عيني شضامتلي
يا خايبه اهنا
تطلع شمس وتغيب
ياسفانه
سلمت ما كلي هله
اريد وياك
عجيبه يا حلو والله عجيبه تخلي الروح من بعدك غريبة"
ارد انشد من اهل الهوى

نائب رئيس التحرير: علي حسين
هيئة التحرير: رفعت عبد الرزاق
الاخراج الفني: نصير سليم

طبعت بمطابع مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون